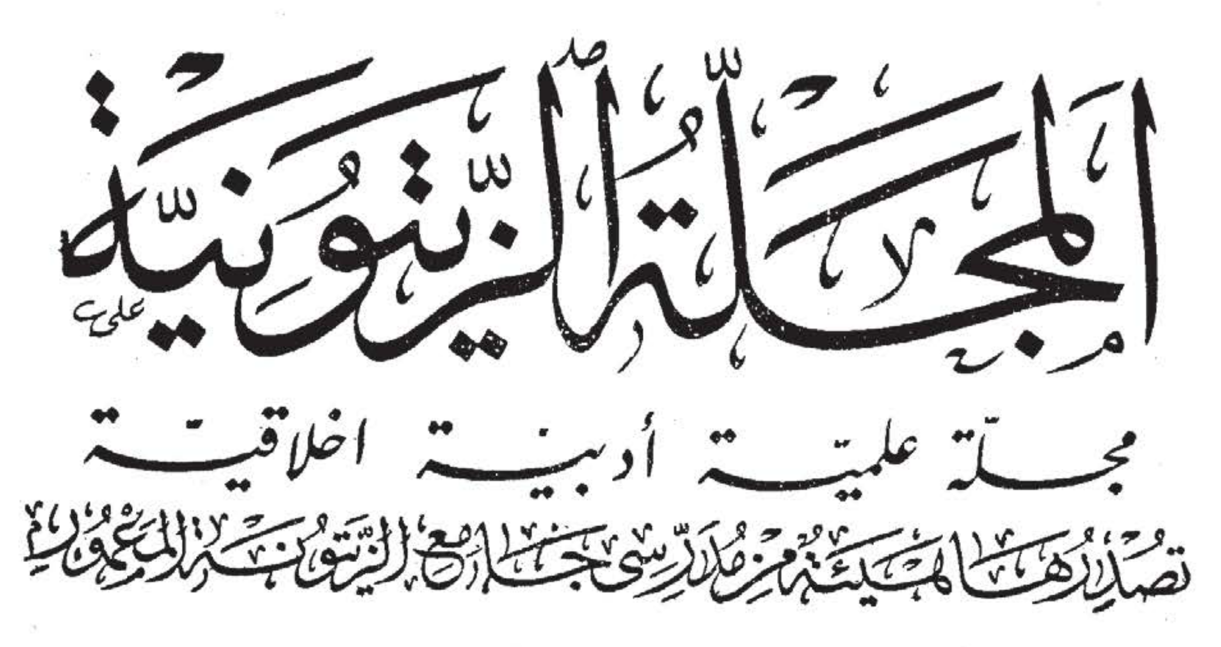


شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الاول	تونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - جانفي ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

فهرس العدد

المجلد الثالث — الجزء الاول

الصحيفة	المقال	صاحبه
٢	فاتحة المجلد الثالث	الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس التحرير
٧	من تفسير سورة البقره	لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام المالكي
١١	حديث اذا رايتم الهلال فصوموا واذا رايتموه فافطروا	المنعم المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي
٢٠	التشريع الاسلامي	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيدي عبد العزيز جعيط المفتي المالكي
٢٣	حكمة الصوم والحج	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الحجوي مندوب المعارف بالحكومة الشريفية
٢٦	وزراء تونس قبل الحماية وبعدها	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية
٣٢	المعروف	. . . .
٣٣	الشرف الحسني والحسيني	العالم المؤرخ الشيخ محمد طراد
٣٤	مثال العمود الذي على قبر الحسنين . . .	. . . .
٣٤	الفتاوى	العالم المدرس الشيخ علي النيفر
٣٥	حكم خلقية	. . . .
٣٧	تزكية النفس	العالم الواعظ الشيخ الجيلاني حمزه
٣٩	عمر بن الخطاب كما يصفه صعصعة بن صوحان	. . . .
٤٠	حول ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الافتاء	. . . .
٤٢	خطاب بين يدي الحضرة العلية	الشيخ محمد المختار بن محمود
٤٣	تهنئة بخطة الافتاء (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار مدير المجلة السابق
٤٥	النهضة العربية في العصر الحاضر	الامير شكيب ارسلان



صورة الهيئة المؤسسة للمجلة الزيتونية

وهم من اليمين : المشايخ محمد الهادي ابن القاضي ـ الطاهر القصار ـ صاحب الفضيلة المختار بن محمود ـ محمد الشاذلي ابن القاضي ـ الحطاب بوشناق ـ محمود بن الطاهر



شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الاول	تونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - جانفي ١٩٣٩	المجلد الثالث

رئيس قلم تحريرها

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي

بالديار التونسية

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - **تليفون ٤٩-٢٦**

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهم تفتتح الاعمال . ومنك نستمد الهداية في الحال والمآل ؛ وبتوفيقك يحفظ القلم من الزيغ والزلل . وينشرح الصدر لصالح العمل ؛ ونعي مقررات الشريعة الاسلامية ، لنقوم باعباء دينك الذي ارتضيت لنا وذلك غاية الامنية ، ونصلي ونسلم على رسول الرحمة ، ومجلي الظلمة ، من أرسلته بنور الايمان ، وأدبته بأداب القرءان ؛ واقمت به الحجة على من عاند وكفر ؛ فظهر به الحق واستقر وعلى ءاله الغر الميامين . وأصحابه مصابيح الظلام بين العالمين ، الذين نشروا الاسلام وكانوا له نعم الحافظ الامين ، وكل من اقتفى أثرهم ، وسلك مسالكهم المستبين ؛ وبذل وسعه لاعلاء كلمة الحق والدين

اما بعد فها نحن نشق الطريق لقطع المرحلة الثالثة بالمجلة بعد ان قطعت مرحلتيها الاولى والثانية بعزم صادق وايمان قوي ، مثابرة على الخطة التي برزت متحلية بها ؛ لم تحد عن المبادي التي أنشئت من أجلها ، فخورة بما رزق الله من التوفيق للقيام بمهمتها على قدر ما سمحت به الظروف ، ثابتة بما أمدنا الله به من قوة امام العواصف التي تعترض كل ناشيء في اوليات خطاه ، متمادية في سيرها على نحو سيرتها الاولى من حيث المبدا ، متطلعة الى الرقي شأن كل جاد في عمله

فقد قامت المجلة في بحر هاتين السنتين بمهمات جمة وأدت خدمات للمجتمع الاسلامي نحمد الله الذي رزقنا التوفيق للقيام باعبائها

فكان لها ـ رغما على قرب العهد بانشائها ـ فضل عظيم لا ينكر بما نشرته من المباحث المختلفة والتحقيقات النفيسة والمواضيع المتنوعة التي شارك في تحريرها اعيان العلماء سواء في بلادنا التونسية او في غيرها من الاقطار الاسلامية فكانت مجالا للافكار الصائبة والتحارير المفيدة وكانت مطمح انظار الخاصة فضلا عن العامة وكانت من جهة اخرى واسطة بين اعيان علماء جامع الزيتونة ونبغاء المفكرين في بلادنا وبين بقية العلماء والمفكرين في سائر الاقطار الشرقية اذ لا يخفى ان للمجلات في هذا الزمان فضلا عظيما في تعريف الناس ببعضهم والابانة عما في كل قطر من الاسرار والفضائل التي لولا النشر لما ظهرت ولما اطلع عليها الناس .

ولا يخفى ان بلادنا التونسية من احوج البلدان الى الدعاية والاشهار لانها رغما عما فيها من كبار العلماء الذين يعدون من مفاخر علماء الاسلام سواء في هذه الايام او في الازمنة السابقة ورغما عن وجود جامعة علمية كبرى فيها تخدم اللغة العربية والشريعة الاسلامية وهي الجامعة الزيتونية ادام الله عمرانها ورغما عن كون البلاد التونسية من اشهر البلدان واعظمها في التاريخ القديم وكان لها صيت عظيم وكانت مطمح انظار عدة دول كبرى في الزمان السالف فانها تكاد تكون اليوم مجهولة عند كثير من الامم الشرقية ولا اريد انهم يجهلون اسمها وانما هم يجهلون مزاياها وخصائصها .

ويكفي الدلالة على ذلك ان اقص لقرائنا القصة الاتية :

عند ما كنت في باريس في شهر رجب سنة ١٣٥٦ تهيأت لي الفرصة للاجتماع بكثير من المشارقة فكانوا يسئلونني عن تونس سؤال من يجهل عنها كل شيء فاذا حدثتهم عما في البلاد التونسية من الخصائص والمزايا تعجبوا من ذلك وقالوا ما كنا نظن ان البلاد التونسية على ما وصفته لنا ولا على اقل منه .

واعجب شيء وقع لي اثناء هذه الاجتماعات اني تلاقيت برجل من العراق يتظاهر بانه مثقف نبيه فلما علم ني من تونس قال لي : هل هناك من يتكلم اللغة العربية في تونس ؟ فتعجبت من سؤاله واجبته بشيء من الشدة والاعتزاز بالنفس فقلت له : ان البلاد التونسية تعتبر في العصر الحاضر من اشد الاقطار الاسلامية اعتناء باللغة العربية واعتزازا بالاسلام ويكفيك ان تعلم ان بتونس جامعة هي الجامعة الزيتونة ليس لها من عمل الا خدمة اللغة العربية والشريعة الاسلامية يهرع الناس اليها ليتلقي العلوم ولها الفضل لا على البلاد التونسية فقط بل حتى على الجزائر وطرابلس فهي تعتبر جامعة الشمال الافريقي . فقال لي : كنت اجهل هذا كله واشكرك على ما افدتني به ، فقلت له : وااسفاه على الرابطة الشرقية كيف انحلت حتى صار المسلمون يجهلون بعضهم الى هذا الحد .

ونحن اذا رجعنا الى السبب الحقيقي في هذا الجهل نجده يرجع الى عدم وجود الدعاية الكافية للبلاد التونسية . والدعاية انما تكون بظهور العلماء والمفكرين وتسابقهم في ميادين التحارير العلمية حتى يعلم الناس فضلهم ومزاياهم وقد كانت هذه المجلة المتواضعة احسن وسيلة لظهور ما لعلماء تونس من القيمة العلمية ونحن نؤمل ان يكون عملها في المستقبل من هذه الناحية اكثر افادة واجدى نفعا .

هذا ورغما عما قامت به هذه المجلة من الاعمال التي نرجو ان تكون مفيدة بحول الله . فان امامنا برامج متسعة لترقيتها . والارتفاع بها الى مصاف المجلات العلمية الكبرى في العالم وما ذلك على الله بعزيز . وذلك يتوقف تحقيقه على امور اهمها انتظام ميزانية المجلة من الناحية المالية وهنا يجب علينا ان نصرح لقرائنا الذين يهمهم هذا المشروع ويعز عليهم بقاؤه ومن الواجب ان لا يكون بيننا وبينهم حجاب : ان ما نلاقيه منهم من التشجيع الادبي وان كان بعيدا في حد ذاته لكنه لا يغني في ترقية المجلة واطراد حياتها لان هذه المشاريع انما تبقى وتنمو باعتمادها على ميزانية واسعة يصرفها القائمون على تلك المشاريع في سبيل تحسينها والرقي بها ونحن رغما عن كون مقصدنا من تاسيس هاته المجلة هو مقصد ادبي علمي محض لا نرمي من ورائه الى اي ربح يحصل لنا لكن على كل حال لا بد لنا من مال نعتمد عليه لبقاء هاته المجلة والاستمرار عليها اذ ليس من الانصاف ان نتحمل بجميع المشاق الادبية التي لا تخفى على احد ثم نتحمل مع ذلك المشاق المالية كما وقع لنا في العام الماضي والذي قبله فقد صرفنا من مالنا الخاص مبلغا عظيما من المال وقد صرفناه بصدر

رحب احتفاظا على مشروعنا العزيز من ان تتطرقه يد الاهمال او الفناء ولكننا نعلم وقراؤنا يعلمون ايضا ان هذا امر لا يمكن ان يدوم لان الانسان مهما قويت عزيمته وصح يقينه فلا بد له من الاعانة المادية ليستمر على عمله والا فسيأتيه يوم لا محالة يبوء فيه بالفشل ويفقد عزيمته وصبره

وهذا موضوع وان كنا لا نود ان نطيل القول فيه لكن تلدد بعض المشتركين في العام الماضي واتعابهم لنا اوجب علينا ان نصرح به هنا حتى يكون قراؤنا على علم وحتى يكون لهم راي معنا في تلافي هذا المشكل الذي وان لم يفض الى تعطيل المجلة - والحمد لله - لكنه افضى الى اختلال مواعيد صدورها .

هذا وان المجلة قد احرزت على رضى قرائها الافاضل الذين ما انفكوا يشجعونا برسائلهم الحافلة المفصحة عن ابتهاجهم بما نشرته المجلة من الابحاث العلمية والمقالات الرائعة واعرابهم عن الاغتباط بها وحسن مسلكها وجودة رونقها وبهذا يصح لنا ان نقول ان المجلة قد اعتبرتها الاوساط العلمية المنهل العذب الذي يرده الظمآن فيجد فيه شرابا سائغا شهيا عذبا قراحا ، وشجرة مباركة يستمد من ظلها روادها الراحة والسعادة . ويؤكد هذا اقبال الطبقة المستنيرة على مطالعتها وحرصهم على اقتنائها ورغبتهم المتزايدة في نشرها بين سائر الطبقات ، وسؤالهم عنها اذ تأخر صدورها بضعة ايام كل هذا يزيدنا ايمانا بسمو هذا المشروع الجليل الذي عقدنا العزم من اول نشأته على السير به نحو الكمال بعونه تعالى وحسن توفيقه وادخال الاصلاحات التي تمليها علينا الرغبة في رقي المجلة المطرد وما يقدمه لنا السادة الاكارم قراء المجلة من الملحوظات الحسنة فنحن عند ظنهم بنا في ادخال التحسينات الفينة عقب الفينة وكلما سمحت لنا الظروف والمقادير بذلك . وقبل ان نختم كلمتنا هذه نوجه تمنياتنا الحارة ودعواتنا الخالصة للسادة العلماء الاعلام الذين شجعونا في مشروعنا الجليل وأمدونا باعانتهم في التحرير او النصح او غير ذلك مما عاد على المشروع بالحسنى

كما انا نعتذر عما اعترى المجلة في عامها الثاني من الصدمات التي ثبتت امامها بكل قوة وعزيمة راسخة ولم تؤثر فيها الاعاصير

هذا ونقدم على كاهل الاجلال والاحترام دعواتنا الخالصة للسدة الشامخة العلية امير البلاد وملاذ الشعب ابي الخيرات الباشا احمد الثاني . بلغه الله الأماني . وانار به العدل واعز به الشرع وحفظه في آل بيته الاعلام ووزرائه الفخام انه تعالى سميع قريب وبالاجابة جدير



تفسير سورة البقرة

(هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)

من تفسير العلامة الهمام الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

الهدى اسم مصدر الهدي ليس لوزنه نظير الاسرى وتقى وبكى ولغى مصدر لغى في لغة قليلة وفعله يتعدى الى المفعول الثاني بالى وربما تعدى اليه بنفسه على طريقة الحذف المتوسع فيه كما تقدم في قوله تعلى اهدنا الصراط المستقيم وتفصيل انواع الهداية تقدم هنالك والمتقي من اتصف بالاتقاء وهو طلب الوقاية والوقاية الصيانة والحفظ من الاذى والمكروه والمراد من الهدى ومن المتقين في الآية معناهما اللغوي فالمراد أن القرءان من شأنه الايصال الى المطالب الخيرية وان المستعدين للوصول به اليها هم المتقون والمراد بالمتقين المؤمنون الذين ءامنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وتلقوا القرءان بعزم على العمل به فالقرءان هدى في زمن الحال لان الوصف بالمصدر في قوة الوصف باسم الفاعل اي هو هاد في حال النطق بهذا الكلام والمتقون هم المتقون في الحال ايضا لان اسم الفاعل حقيقة في الحال اي ان جميع من نزه نفسه واعدها لقبول الكمالات يهديه هذا الكتاب ثم ان القرءان لم يزل هدى للمتقين فان جميع انواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم فمن منتفع بهديه في الدين ومن منتفع به في السياسة وتدبير الدولة ومن منتفع به في الاخلاق والفضائل ومن منتفع به في التشريع والتفقه في الدين وكل اولئك من المتقين وانتفاعهم به على حسب مبالغ تقواهم . فان قصر باحد حظه عن كمال الانتفاع به فانما ذلك لنقص فيه لا في الهداية ولا تزال المسابقة بين اهل العلم في مقدار الاهتداء بمعاني القرءان . وما يعد من المتشابه انما هو معان كبرت على الافهام وقد كشف بعض معانيها مرور الايام على انها يعلمها الراسخون في العلم على التحقيق في معنى قوله تعلى واخر متشابهات

(الذين يومنون بالغيب) يتعين ان يكون كلاما متصلا بقوله للمتقين على معنى الصفة وجوز

صاحب الكشاف كونه مستانفا مبتدا وكون اولئك على هدى خبره وعندي انه تجويز لما لا يليق بالبلاغة اذ الاستيناف يقتضي الانتقال من غرض الى ءاخر وهو المسمى بالاقتضاب وانما يحسن في مقام البلاغة اذا اشبع الغرض الاول وافيض فيه حتى اوعب او حتى خيف سئامة السامع وذلك موقع اما بعد او كلمة هذا او نحوهما والا كان تقصيرا من المتكلم لا سيما واسلوب الكتاب اوسع من اسلوب الخطابة لان الاطالة في اغراضه امكن وكأن هذا هو الذي عناه قس بن ساعدة بقوله

لقد علم الحي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها

اي اعلمها بالخطابة وبموقع اما بعد من الخطبة . والغيب مصدر بمعنى الغيبة قال تعلى ذلك ليعلم اني لم أخنه بالغيب ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، وربما قالوا بظهر الغيب قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من ءال لام بظهر الغيب تاتيني

وفي الحديث دعوة المؤمن لاخيه بظهر الغيب مستجابة . وقد اطلق الغيب في لسان الشارع على ما غاب عن الحس ومشاهدة الناس كالجنة والنار والملائكة وقد جاء الغيب بهذا المعنى في القرءان في قوله تعلى : وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو . فاذا اريد من الغيب هنا المصدر بمعنى الغيبة جعلت الباء للملابسة ظرفا مستقرا فالوصف تعريض بالمنافقين وان اريد بالغيب الاسم وهو ما غاب عن الحس من العوالم وما وراء المادة كانت الباء صلة ليؤمنون فالمعنى حينئذ الذين يؤمنون بما اخبر به الرسول من غير عالم الشهادة كالملائكة والبعث والروح ونحو ذلك وكان الوصف تعريضا بالمشركين الذين انكروا ما وراء المادة (وقالوا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) ونحو ذلك

وانما اختير لبيان التقوى هذه الصفات دون غيرها لانها أول ما شرع من الاسلام فكانت شعار المسلمين ولان هذه الصفات هي دلائل اخلاص الايمان لان الايمان في حال الغيبة عن المؤمنين حال خويصة النفس ادل على اليقين والاخلاص حين ينتفي الخوف والطمع ان كان المراد بالغيب ما غاب او لان الايمان بما لا يصل اليه الحس أدل دليل على قوة اليقين حتى انه يتلقى من الشارع ما لا قبل للرأي فيه وشأن النفوس أن تنبو عن الايمان به لانها تميل الى المحسوس فالايمان به على علاته دليل قوة الثقة بالمخبر وهو الرسول ان كان المراد من الغيب ما قابل الشهادة ومعنى يؤمنون يصدقون وفعله ءامن وهو مزيد امن وهمزته المزيدة دلت على التعدية فأصل ءامن تعدية أمن ضد خاف اي صيره ءامنا ثم اطلقوا ءامن على معنى صدق ووثق حكى ابو زيد عن العرب ما ءامنت ان اجد صحابة يقوله المسافر اذا تأخر عن السفر كانه ءامن نفسه وازال خوفها من عدم صحبة الخفير فافاد مبالغة في أمن كأقدم على الشيء بمعنى تقدم اليه وعمد اليه فصار فعلا قاصرا بمعنى حصل له الامن اي من الشك واضطراب النفس واطمأن لذلك لان معنى الامن والاطمئنان متقارب ثم انهم يضمنون آمن معنى

اقر فيقولون ءامن بكذا اي اقر به ويضمنونه معنى اطمأن فيقولون ءامن له (افتطمعون ان يؤمنوا لكم) (١) (ويقيمون الصلاة) الاقامة مصدر أقام وهو معدى من قام بالهمزة الدالة على الجعل والتصيير ومعنى الاقامة هنا جعلها قائمة ماخوذا من قامت السوق اذا نفقت وتداول الناس فيها السلع والبيع والشراء فيجيء من ذلك أقام بمعنى جعلها قائمة وقد دل على هذا الاعتبار في يقيمون تصريح بعض اهل اللسان به قال ايمن بن خريم (٢)

اقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقين حولا قميطا

فانه لو شاء لقال اقامت غزالة الضراب وكان اوجز وأحسن كما جاء في هذه الاية واصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع ونحوهما وانما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأتى من قعود فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة ولذلك اطلق على النشاط في قولهم قام بالامر وعلى الاستواء في قولهم استقام وقوام الانسان وقامته وعلى التحرك والتداول في قولهم قامت السوق وقامت الحرب وقالوا في ضده ركدت ونامت وفي الحديث الفتنة نائمة فإطلاق القيام على هذه المعاني من قبيل المجاز المرسل وقد شاع هذا المجاز حتى ساوى الحقيقة ولذلك صح بناء المجاز والاستعارة على هذه المعاني فاقامة الصلاة في الاية استعارة تبعيه شبهت المواظبة على الصلوات والعناية بها بجعل السوق نافقة رائجة وهذا اظهر الوجوه فان الثناء على المصلين اريد به الثناء على شدة عنايتهم بها ومواظبتهم عليها ولهم في الاية وجوه اخرى كلها بعيدة وقد عبر هنا بالمضارع كما وقع في قوله يؤمنون ليصلح ذلك للذين أقاموا الصلاة فيما مضى وهم الذين ءامنوا من قبل نزول الآية والذين هم بصدد اقامة الصلاة وهم الذين يؤمنون عند نزول الآية والذين سيهتدون الى ذلك وهم الذين جاءوا من بعدهم اذ المضارع صالح لذلك كله لان من فعل الصلاة في الماضي فهو يفعلها الآن وغدا ومن لم يفعلها فهو اما يفعلها الآن او غدا وجميع اقسام هذا النوع جعل القرءان هدى لهم . ولما كان المضارع مرادا به ما ذكرنا وكان حينئذ بمعزل عن افادة التجدد أي تكرر الحصول اشتق من الاقامة المقتضية للتجدد والتكرر فلم يقل ويصلون

---

(١) التضمين هو ان يقصد بلفظ فعل او نحوه معناه ويلاحظ معه معنى فعل ءاخر يناسبه محذوف يدل عليه بذكر شيء من متعلقاته بحيث لا يصلح ذلك المتعلق ان يكون متعلقا بالفعل المذكور وهو من ايجاز كلام العرب لانه استغناء بذكر المتعلق بالكسر عن ذكر المتعلق بالفتح كما استغنى بذكر الفعل المذكور عن ان يؤتى له بمتعلق بالكسر

(٢) ايمن بن خريم بالخاء المعجمة والراء شاعر قال قصيدة يحرض أهل العراق على قتال الخوارج ويذكر غزالة زوجة شبيب الخارجي كانت تولت قيادة الخوارج بعد قتل زوجها وحاربت الحجاج عاما كاملا ثم قتلت وأول القصيدة

ابى الجبناء من أهل العرا ق على الله والناس الا سقوطا

لئلا يفوت معنى المواظبة اذ المضارع وحده غير صالح في هذا المقام للتكرير فلا تغفلوا عن هذه النكتة من نكت الاعجاز

والصلاة اسم مصدر صلى وهي بوزن فعلة محرك العين ولامها واو لما ياتي فلذلك قلبت الفا لما تحركت بعد فتحة وقد استغنوا باسم المصدر عن المصدر وهو التصلية فاهملوا المصدر لالتباسه بتصلية النار قال بعض اهل اللغة هي حقيقة في الدعاء وجعلوا اطلاقها على العبادة المخصوصة نقلا شرعيا. وقال بعضهم هي العبادة بكيفية مخصوصة واستشهدوا بقول الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وجعلوا اطلاقها على العبادة المخصوصة في الاسلام تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته مثل الغلبة وعندي ان هذا هو القول الوجيه لان العرب قد عرفوا في الجاهلية الصلاة بمعنى العبادة وعرفوا الركوع والسجود لاجل العبادة وقد اخبر الله تعلى عن ابراهيم بقوله « ربنا ليقيموا الصلاة » وكانت اليهود معاشرين للعرب وهم اهل صلاة وكذلك كان من العرب النصارى وهم يصلون وقد قال النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني وذكر دفنه في موضع يقال له الجولان

فئاب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

اراد المصلين عليه من القسيسين اذ كان النعمان متنصرا وقال النابغة ايضا

او درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

واما اطلاقها على الدعاء فهو فرع عن هذا والصلاة مشتقة من الصلا وهو عرق غليظ في وسط الظهر يفترق عند عجب الذنب فيكتنفه فيصير صلوين اشتقت الصلاة منه لان المصلي اذا ركع وسجد تحرك ذلك العرق حركة شديدة وانما اطلقت على الدعاء ايضا لان الداعي ينحني ويطأطىء

ولاجل مراعاة هذا الاشتقاق كتبوها في المصحف بالواو اذلو لم يكن هذا قصدهم لما كان وجه لكتابتها بالواو بخلاف الزكاة . وقد قيل انها كتبت في المصحف بالواو اشارة الى لغة تفخيم اللام في الصلاة لان اللام المفخمة مع الفتح تقارب مخرج الضم وهو بعيد

وصية الفاروق رضى الله عنه

من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئى مسلم شرا وانت تجد لها من الخير محرجا ، ولا تتهاون في الحلف بالله فيهينك . واعتزل عدوك ، واحذر صديقك الا الامين ، والامين من خشى الله تعالى . ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك ، وشاور في أمرك الذين يخافون الله



باب قول النبيء صلى الله عليه وسلم

اذا رأيتم الهلال فصوموا واذا رأيتموه فأفطروا *

وقال طه عن عمار : من صام يوم الشك فقد عصى ابا القاسم صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن عبد الله بن مسلمه عن مالك عن نافع عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فأقدروا له. حدثنا عبد الله ابن مسلمه حدثنا مالك عن عبد الله ابن دينار عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فان غم عليكم فاكملوا العدة ثلاثين . حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن جبلة بن سحيم قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال النبيء صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا وخنس الابهام في المرة الثالثة . حدثنا ءادم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال سمعت ابا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم او قال قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته فان غبي عليكم فاكملوا عدة شعبان ثلاثين

البيـــان

قد تقرر في الاصول ان تكاليف الشريعة المطهرة انما وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل، وانها راجعة الى حفظ مقاصدها في الخلق ، وانها انما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي اهوائهم حتى يكونوا عبادا لله قال جل ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قال ابو اسحـاق الشاطبي في المسئلة الثامنة من كتاب المقـاصد من الموافقـات : المصـالح المجتلبة شرعـا والمفاسد المستدفعة انما تعتبر من حيث تقام الحيـاة الدنيا للحيـاة الاخرى لا من حيث هوى النفوس في جلب مصالحها ومفاسدها العادية قال وهذا المعنى اذا ثبت لا يجتمع مع فرض وضع الشريعة على وفق اهواء النفوس

* الختم الذي القاه المقدس المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي بجامع حموده باشا في رمضان عام ١٣٠٥

وطلب منافعها العاجلة كيف كانت وقد قال عزت كلمته ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن اه . ثم من جملة التكاليف الشرعية صوم رمضان قال عز من قائل شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه. شرعه سبحانه وتعلى لمصالح عظيمة وفوائد جسيمة منها كسر النفس وقهر الشيطان وذلك لان الشبع نهر في النفس يرده الشيطان والجوع نهر في الروح ترده الملائكة . ومنها معرفة الغني مقدار نعمة الله عليه باقداره على ما منع منه كثير من الفقراء من فضول الطعام والشراب فانه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الاطلاق فيوجب له شكر نعمة الله عليه بالغنى واليسار ويدعوه ذلك الى رحمة اخيه الفقير المحتاج ومواساته بما يمكن مما اعطاه الله وقد وعد سبحانه عليه بالثواب العظيم في دار النعيم ففي الحديث القدسي الصوم لي وانا أجزي به. وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذي سأله عن افضل الاعمال : عليك بالصوم فانه لا مثل له يقول الله تعلى يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وانا أجزي به والحسنة بعشر امثالها. ومن المعلوم أن الكريم اذا تولى الاعطاء بنفسه كان في ذلك اشارة الى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه وفيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب ثم ان الشارع اوجب صيام رمضان معلقا برؤية هلاله على ما هو صريح الاحاديث المذكورة في هذا الباب الا الحديث الاول منها فالجمهور على انه بمعنى الحديثين الاخيرين حتى كانا مفسرين له ولذلك اخرهما البخاري رحمه الله وذهب الحنابلة الى ان معنى فاقدروا له قدروه تحت الحساب. وذهب غيرهم الى ان معناه قدروه بحسب المنازل وقد ذكر الامام الزاهدي في القنية اقوالا ثلاثة للحنفية في العمل بالحساب فنقل اولا عن القاضي عبد الجبار وصاحب جمع العلوم أنه لا بأس بالاعتماد على قول الفلكيين وليس بواجب ونقل عن ابن مقاتل أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم اذا اتفق عليه جماعة منهم واستبعده الامام السرخسي ونقل عن مجد الائمة الترجماني أنه اتفق اصحاب ابي حنيفة الا النادر والشافعي انه لا اعتماد على قولهم اه وقد حكى في المعراج الاجماع على عدم اعتبار اقوال المنجمين وانه لا يجوز للمنجم ان يعمل بالحساب المخالف للرؤية لنفسه اه وما ذهب اليه الامام السبكي من الشافعية من الاعتماد على قولهم بناه على ان الحساب قطعي قد رده المتأخرون من اهل مذهبه بان الشارع اعتبر الشهادة لانه نزلها منزلة اليقين فلا عبرة بغيرها اذا خالفها بل قد الغى الشارع غيرها بالكلية لقوله : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق في العمل بالحساب قولان عندنا وعند الشافعية والمشهور في المذهبين عدم اعتبار الحساب فاذا دل حساب تسيير الكواكب على خروج الهلال عن شعاع الشمس من جهة علم الهيئة لا يجب الصوم فلو كان الامام يرى الحساب فاثبت الهلال به لم يتبع لاجتماع السلف على خلافه مع ان حساب الاهلة والكسوفات والخسوفات

قطعي فان الله تعلى أجرى عادته بان حركات الافلاك وانتقالات الكواكب السبعة السيارة على نظام واحد طول الدهر بتقدير العزيز العليم فلا ينخرم ذلك ابدا والعوائد اذا استمرت افادت القطع فالحساب ينبغي ان يعتمد عليه كاوقات الصلوات فانه لا غاية بعد حصول القطع لكن قد فرق بينهما الجمهور وعليه السلف والخلف بان الله تعالى نصب زوال الشمس سببا لوجوب الظهر وكذلك بقية الاوقات لقوله جل ذكره أقم الصلاة لدلوك الشمس أي لاجله والدلوك اما زوال الشمس أو غروبها كما قاله صاحب الكشاف وكذلك قوله سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون . قال المفسرون هذا الكلام خبر ومعناه الامر بالصلوات الخمس في هذه الاوقات فحين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر . والصلاة تسمى سبحة ومنه سبحة الضحى اي صلاتها فالآية امر بايقاع هذه الصلوات في هذه الاوقات وقد دل غير ذلك من الكتاب والسنة على أن نفس الوقت سبب للوجوب فمن علم السبب بأي طريق كان العلم لزمه حكمه المترتب عليه شرعا فلذلك اعتبر الحساب المفيد للقطع في أوقات الصلوات واما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن الشعاع سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب فاذا لم تحصل الرؤية لم يحصل السبب الشرعي فلا يثبت الحكم الذي هو الوجوب ويدل على ان صاحب الشرع لم ينصب نفس خروج الهلال عن شعاع الشمس سببا للصوم قوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ولم يقل لخروجه عن شعاع الشمس كما قال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس ثم قال عليه الصلاة والسلام فان غم عليكم فاقدروا له اي خفيت عليكم رؤيته فاقدروا له اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما اي انظروا في اول الشهر واحسبوا ثلاثين يوما وفي الرواية الاخرى فاكملوا العدة ثلاثين فنصب رؤية الهلال او اكمال العدة ثلاثين ولم يتعرض لخروج الهلال عن الشعاع واما قوله تعلى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلا دلالة فيه على المطلوب قال ابو علي لان شهد لها ثلاث معان بمعنى حضر ومنه شهدنا صلاة العيد وشهد بدرا وشهد بمعنى أخبر ومنه شهد عند الحاكم اي أخبره بما يعلمه وشهد بمعنى علم ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد أي عليم وهو في الاية بمعنى حضر ومعنى الآية فمن حضر منكم المصر في الشهر فليصمه اي حرا مقيما احترازا من المسافر فانه لا يلزمه الصوم واذا كان شهد بمعنى حضر لا بمعنى شاهد وراى لم يكن فيه دلالة على المطلوب وهو اعتبار الرؤية ولا على اعتبار الحساب ايضا فان الحضور في الشهر اعم من كونه ثبت بالرؤية او بالحساب فلاجل هذا الفرق قال الفقهاء ان كان الحساب غير منضبط فلا عبرة به وان كان منضبطا لم يجب به الصوم لان الشارع لم ينصبه سببا اه قلت ما ذهب اليه الشهاب من أن شهد بمعنى حضر هو ما رجحه صاحب الكشاف حيث قال اي فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما في الشهر فليصم

فيه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر اه قال الفاضل السيالكوتي في حواشي البيضاوي شهد على الوجه الثاني بمعنى رأى على ما قيل لانه ما وجد في الكتب المتداولة الشهود بمعنى الرؤية نعم جاءت المشاهدة بمعنى الرؤية اه وتمام الكلام في تفسير القاضي وحواشيه . وههنا بحثان الاول في اوقات الصلوات وذلك انه جرت عادة المؤذنين وأرباب المواقيت بتسيير درج الفلك فاذا شاهدوا من درج الفلك ما يقتضي ان درجة الشمس قربت من الافق قربا يقتضي ان الفجر طلع امروا الناس بالصلاة والصوم مع ان الافق يكون صاحيا لا يخفى فيه طلوع الفجر لو طلع ومع ذلك فلا يجد الانسان للفجر اثرا البتة وهذا لا يجوز فان الله تعالى انما نصب سبب وجوب الصلاة ظهور الفجر فوق الافق ولم يظهر فلا تجوز الصلاة حينئذ فانه ايقاع للصلاة قبل وقتها وبدون سببها وكذلك القول في بقية الصلوات قال الشهاب فان قلت هذا جنوح منك الى انه لا بد من الرؤية وانت قد فرقت بين البابين وميزت بين القاعدتين بالرؤية وعدمها وقلت السبب في الاهلة الرؤية وفي اوقات الصلوات تحقيق الوقت دون رؤيته فحيث اشترطت الرؤية فقد بطلت ما ذكرته من الفرق قلت الجواب عنه اني لم اشترط الرؤية في اوقات الصلوات لكني جعلت عدم اطلاع الحس على الفجر دليلا على عدمه وانه في نفسه لم يتحقق لان الرؤية هي السبب ونظيره في الاهلة لو كانت السماء مصحية والجمع كثير ولم ير الهلال جعلت ذلك دليلا على عدم خلوص الهلال عن شعاع الشمس وكذلك لو رايت الظل مائلا عند الزوال لجهة المغرب ولم اره مائلا الى جهة المشرق بل متوسطا بين الجهتين جعلت ذلك دليلا على عدم دخول الوقت وعدم السبب ففرق بين كون الحس سببا وبين كونه دالا على عدم السبب فاني في الفجر جعلته دليلا على عدم السبب لا أني اشترطت الرؤية ولذلك لم استشكل ذلك الا والسماء مصحية والحس لا يجد شيئا من الفجر امالو كان حسابهم يظهر معه الفجر مع الصحو طالعا من الافق ويخفى مع الغيم لم استشكله وقلت انما يخفى لاجل الغيم لا لاجل عدمه في نفسه لكن لما رايت حسابهم في الصحو لا يظهر معه الفجر علمت ان حسابهم يقارن عدم السبب فان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل أيضا على عدمه باتساق الظلمة وعدم الضياء اه كلام الشهاب وانا اقول في جواب هذا الاشكال ان الفجر يطلع شيئا فشيئا على القطر ففي أول طلوعه يكون الضياء ضعيفا جدا بحيث لا يدركه البصر لضعف البصر كما صرح به في المواقف الا ترى أنه بعد اعتبار وقت طلوعه بزمن قريب يظهر منتشرا لكل بصر سليم في ذلك القطر وماكان ذلك الا لكونه ينتشر شيئا فشيئا اذ من المعلوم ان سير الشمس تدريجي كغيره من الافلاك البطيئة فقوله ان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل ايضا على عدمه ممنوع اذ عدم ادراك الحس لضياء الفجر لا يدل على عدم الفجر في الواقع حسبما علمت ان طلوعه على القطر يكون جزئيا شيئا فشيئا وان البصر مع ضعفه لا يدرك اول طلوعه مع اتساع الافق مع ما وقع له تسليمه من ان

الحساب قطعي الا ان الشارع لم يعتبره في الصوم فقط وعلى هذا فلا يلزم ما ذكره من لزوم ايقاع الصلاة قبل وقتها ولا وجوب الامساك قبل وقته المقدر فيه شرعا. نعم لو كنا نقطع بان البصر يدرك الفجر في أول طلوعه لتم البحث وما ذكره الشهاب فيه موافقة الى ما قاله ابن دقيق العيد حسبما نقله عنه الشهاب الرملي الشافعي في فتاواه اذ قال ما نصه قال ابن دقيق العيد الحساب لا يجوز الاعتماد عليه في الصلاة اهـ. لكنه مخالف لما عليه السلف والخلف فان الجمهور على اعتبار ذلك في اوقات الصلوات كما سبق تقريره من كلام الشهاب. نعم كون الحساب قطعيا ليس بمجمع عليه فقد نقل العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم عن بعض المالكيه ان الحساب حدس وتخمين ولا يجوز الاعتماد عليه الا في القبلة واوقات الصلوات اهـ. ولعله انما اعتبر على هذا القول لانه غاية ما يمكن في التوصل الى معرفة القبلة ومعرفة دخول اوقات الصلوات فيرجع الامر فيه الى غلبة الظن وهي منزلة منزلة اليقين شرعا كما صرح به بعض الفقهاء في غير ما موضع من كتب الشريعة بخلاف الهلال كما سياتي تحريره حيث اناط الشارع وجوب الصوم بالرؤية لا بمجرد طلوع الهلال على القطر وخروجه عن شعاع الشمس وان لم يكن بحيث يراه البصر السليم .

البحث الثاني ان المالكية جعلوا رؤية الهلال في بلد من البلاد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض ووافقهم الحنابلة على ذلك وقالت الشافعية لكل قوم رؤيتهم واتفق الجميع على ان لكل قوم فجرهم وزوالهم وعصرهم ومغربهم وعشاءهم فان الفجر اذا طلع على قوم يكون عند ءاخرين نصف الليل وعند ءاخرين نصف النهار وعند ءاخرين غروب الشمس الى غير ذلك من الاوقات وما من درجة تطلع من الفلك او تتوسط او تغرب الا وفيها جميع الاوقات بحسب آفاق مختلفة واقطار متباينة فاذا طلعت الشمس في اقصى المشرق كان نصف الليل عند البلاد المغربية منهم او اقل من ذلك او اكثر على حسب البعد من ذلك الافق فاذا غربت في اقصى المغرب كان نصف الليل عند البلاد المشرقية او اقل او اكثر بحسب قرب ذلك القطر من القطر الذي غربت فيه الشمس وكذلك بقية الاوقات تختلف هذا الاختلاف ولذلك وقع في الفتاوى الفقهية مسالة اشكلت على جماعة من الفقهاء في اخوين ماتا عند الزوال احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أيهما يرث صاحبه فافتى الفضلاء من الفقهاء بان المغربي يرث المشرقي لان زوال المشرق قبل زوال المغرب فالمشرقي مات اولا فيرثه المتأخر لبقائه حيا متأخر الحياة فيرث المغربي المشرقي

اذا تقرر الاتفاق على ان اوقات الصلوات تختلف باختلاف الافاق وان لكل قوم فجرهم وزوالهم وغير ذلك من الاوقات فيلزم ذلك في الاهلة بسبب ان البلاد المشرقية اذا كان الهلال فيها في الشعاع وبقيت الشمس تتحرك مع القمر الى الجهة الغربية فما تصل الشمس الى افق المغرب الا وقد خرج الهلال من الشعاع فيراه اهل المغرب ولا يراه اهل المشرق واذا كان الهلال يختلف باختلاف الافاق وجب ان يكون

لكل قوم رؤيتهم في الاهلة كما ان لكل قوم فجرهم وغير ذلك من اوقات الصلوات وهذا حق ظاهر وصواب متعين ، لما وجوب الصوم على جميع الاقاليم برؤية الهلال بقطر منها فبعيد عن القواعد والادلة لم تقتض ذلك اهـ . كلام الشهاب وانا اقول في الجواب من جهة المالكية والحنابلة وكذلك الحنفية على ما هو ظاهر المذهب عندهم وهو الذي عليه الفتوى كما نقله زين ابن نجيم في البحر عن الخلاصة ان الخطاب تعلق عاما في الصوم بمطلق الرؤية في حديث صوموا لرؤيته فان الظاهر منه مطلق الرؤية اذ لم يعلقه الشارع برؤية اهل القطر بخصوصه حتى يجب اعتبار رؤية اهل القطر لا رؤية غيرهم من أهل الارض وحيث تعلق عاما على ما هو الظاهر فيجب صوم اهل الارض برؤية اهل قطر منهم نعم قد ذكر العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم ان الحديث محتمل قال ما نصه الحديث يحتمل الامرين لان قوله صوموا لرؤيته يحتمل ان يريد اي رؤية كانت ويحتمل ان يريد لرؤيتكم انتم اهـ . وهذا الاحتمال الثاني هو الذي جنح اليه الامام فخر الدين ابو محمد عثمان الزيلعي في التبيين وايده منلاخسرو في الدرر بان كل قوم مخاطبون بما عندهم في اوقات الصلوات وبعدم وجوب العشاء والوتر على فاقد وقتهما اهـ . فبحث الشهاب مسبوق به للحنفية وغيرهم ولما كان امر العبادات مبنيا على الاحتياط مع كون الاسلوب ورد بكيفية عامة على ما هو الظاهر وجب اعتباره وترك الاحتمال الآخر حتى يقوم عليه دليل خاص في المقام واعتبار القياس على الصلاة لا يفيد مع قيام النص الظاهر منه اعتبار الرؤية مطلقا مع كون الاحتياط خلافه ولهذا قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير الاخذ بظاهر الرواية احوط اهـ . كلامه رحمه الله فقول الشهاب ان الادلة لم تقتض ذلك ممنوع

بقي هاهنا بحث آخر وهو انه قد سالني بعض من احبابنا الفضلاء وهو انه اذا راى الهلال شخص واحد في حال الغيم أو أكثر منه في حال الصحو وكانت الرؤية بواسطة المرءاة المسماة مرءاة الهند وكان بحيث لولا المرءاة لم ير الهلال فهل تكون هاته الرؤية معتبرة شرعا حتى يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية او لا تكون معتبرة شرعا حتى لا يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية ؛ واقول في الجواب عنه اما اولا ان هذه الصورة التي صورها السائل غير معقولة وذلك لان الهلال اذا لم يخرج من شعاع الشمس لا يمكن رؤيته لا بالمرءاة ولا بغيرها من البصر السليم وذلك لان المرءاة لا تزيل شعاع الشمس الذي هو نور ذاتي لها كما صرح به صاحب المواقف وغيره عن الهلال حتى تمكن رؤيته لان المرءاة المذكورة غاية ما تفيد انها يرى بها الصغير كبيرا مع بعد المسافة واما ازالة النور عن المرءي بحيث يرى بها لا بغيرها فكلا ، وايضا اذا لم يخرج الهلال عن شعاع الشمس لم يكن موجودا اصلا لانه لا وجود لنوره الا بمقابلة الشمس وهذا ظاهر لا شك فيه اذا تقرر هذا فاذا رئي الهلال بالمرءاة المذكورة كان بحيث يرى بالبصر السليم وحينئذ فلا تتحقق الصورة التي صورها السائل واما ثانيا فاقول على فرض تسليم معقولية هذه الصورة ان الرؤية بالمرءاة معتبرة شرعا فيلزم الناس الصوم على مقتضى فروع المذهب

المذكورة في غير هذا الباب الدالة على اعتبار الرؤية بالمرءاة رؤية حقيقية شرعا وان لم ار نصا في المسئلة في هذا الباب فمن الفروع ما ذكره اصحابنا كصاحب البحر والفتح والتنوير وغيرهم في فصل المحرمات من كتاب النكاح من انه يحرم على الرجل اصول المراة وفروعها المنظور الى فرجها الداخل من زجاج او ماء هي فيه ولا يحرم اصول المراة المنظور الى فرجها الداخل من مرءاة او ماء هي خارجة عنه قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير لان المرءي في المسئلة الاولى عينه وفي المسئلة الثانية مثاله لا هو لان البصر في المسئلة الاولى ينفذ فيرى نفس ما فيه وان كان لا يراه على الوجه الذي هو عليه ومنها ما صرحوا به في باب اليمين في الاكل والشرب من كتاب الايمان اذا حلف لا ينظر الى وجه فلان فرءاه خلف الزجاج وتبين الوجه يحنث لا من المرءاة كما في البزازية قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير والعلة في هذا هو ما ذكرناه سابقا من ان المرءي خلف الزجاج عينه ومن المرءاة مثاله. ومنها ما ذكره اصحابنا في باب خيار الرؤية من كتاب البيع انه اذا اشترى سمكة رءاها في الماء كان له خيار الرؤية قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير لانه وان كان مرءيا حقيقة لكن لا يراه على الوجه الذي هو عليه فلذا كان له الخيار لان المطلوب في هذا الباب الرؤية حقيقة على ما هو عليه وفي المسئلة خلاف قال في البحر نقلا عن التحفة لو نظر في المرءاة فرأي المبيع قالوا لا يسقط خياره لانه ما راى عينه بل مثاله ولو اشترى سمكة في ماء يمكن اخذه بلا اصطياد فراءها فيه قيل يسقط خياره لانه راى عين المبيع وقيل لا يسقط لانه لا يرى في الماء على حاله بل يرى اكبر مما كان فهذه الرؤية لا تعرف المبيع اهـ. كلامه فانظر كيف اتفقوا على ان الرؤية وقعت على عينه وانما قال اصحاب القول الثاني بعدم السقوط لانه يرى اكبر مما كان لا لانه لم ير حقيقة . اذا تقرر هذا فاذا راى الهلال شخص واحد في الغيم او اكثر في الصحو فان تلك الرؤية صحيحة شرعا فيلزم الناس الصوم لانهم رأوا الهلال بحقيقة برؤية عينه ويصدق عليه الحديث فيجب الصوم على الناس بهذه الرؤية ولا مانع يمنع من اعتبارها شرعا على مقتضى اعتبار الرؤية بالمرءاة شرعا رؤية حقيقية غاية ما في الباب انه يرى الهلال اكبر مما كان وهذا لا يضر في تحقق الرؤية نعم عدم التكلف للرؤية بالمرءاة ليس شرطا في الرؤية وفرق بين اشتراط عدم الشيء وعدم اشتراطه والمسئلة من القسم الثاني قطعا اذ الشارع لم يشترط في الرؤية التكلف بالآلات كالمرءات ونحوها لكن اذا وقع في الخارج ورأوا الهلال بالمرءات فلا جرم تكون الرؤية المذكورة معتبرة شرعا حيث كانت الرؤية واقعة بالعين على عين المرءي نعم لو رىء الهلال من المرءاة بالانعكاس حتى كان المرءي مثاله لا عينه فهذه الرؤية غير معتبرة شرعا فلا يلزم الناس الصوم بهذه الرؤية قطعا وانما يلزمهم بالاولى فقط لكن اعتبار الرؤية شرعا في هذا الباب ليس على اطلاقه بل السببية فيه مشروطة بشرط وهو خروج الهلال عن شعاع الشمس فتكون الرؤية سببا لوجوب الصوم على الناس بشرط ان يخرج عن شعاع الشمس

وهو شرط للوجوب ويدل على هذا ما ذكره شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق اذ قال ما نصه واما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن شعاع الشمس سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب اه وعلى هذا فلا يجب الصوم على الناس بمجرد الرؤية المذكورة على فرض تحققها وماخذ الشرطية من جعل خارجا حال ومن المقرر في الاصول ان الاحوال شروط كما هو مذكور في كتب الشريعة هذا الذي تحرر لي في المسئلة والعلم امانة في عنق العلماء كما قاله ابن نجيم في البحر

وقوله صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا الخ قال الامام الابي في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث الارشاد الى تقريب الاشياء بالتمثيل وهذا الذي قصده صلى الله عليه وسلم ولم يمنع ذلك لاجل ما وصفهم به من الامية لا يحسبون ولا يكتبون لانهم لا يجهلون الثلاثين والتسع والعشرين مع ان التعبير عنها باللفظ اخف من الاشارة المكررة

وأنما وصفهم بذلك سدا لباب الاعتداد بحساب المنجمين الذي تعتمده العجم في صومها وفطرها وفصولها وفي هذا الحديث اعتبار الاشارة في الاحكام وانها بمنزلة النطق في الطلاق والبيع والوصايا وغير ذلك. وفيه صحة طلاق الابكم واقراره وشهادته وحده للقذف اذا فهم منه القذف نص على جميع ذلك في المدونة اه اقول مذهب اصحابنا الحنفية في الاشارة فيها تفصيل اما الاخرس وهو الابكم فقد قال ابن نجيم في الاشباه الاشارة من الاخرس معتبرة وقائمة مقام العبارة في كل شيء من بيع وهبة ورهن ونكاح وطلاق وعتاق وابراء واقرار وقصاص الا في الحدود ولو حد قذف فلا تثبت بالاشارة وكذلك الشهادة فانها لا تقبل و ما يمينه في الدعاوي ففي ايمان خزانة الفتاوي وتحليف الاخرس ان يقال له عليك عهد الله وميثاقه ان كان كذا فيشير بنعم قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام والمراد باشارته التي يقع بها طلاقه الاشارة المقرونة بتصويت منه لان العادة منه ذلك فكانت بيانا لما اجمله ثم انهم اختلفوا في ان عدم القدرة على الكتابة شرط للعمل بالاشارة والمعتمد عدم الاشتراط نعم لا بد في اشارة الاخرس من ان تكون معهودة منه والالم تعتبروها هنا فروع لم ارها الان الاول اشارة الاخرس بالقراءة وهو جنب ينبغي ان تحرم عليه اخذا من قولهم ان الاخرس يجب عليه تحريك لسانه بها فجعلوا التحريك قراءة. الثاني علق الطلاق بمشية اخرس فاشار بالمشية ينبغي الوقوع لوجود الشرط الثالث لو علق بمشية رجل ناطق فخرس فاشار بالمشئة ينبغي الوقوع هـ وبحث الفاضل الحموي في الفرع الاول بقوله في الاخذ من ذلك نظر لان جعلهم التحريك قراءة تكليف بالقراءة بحسب الامكان في باب العبادات ولذا قالوا الاقرع يجري الموسى على راسه وان لم يكن بها شعر في باب الحج تكليف بالحلق بقدر الامكان في باب العبادات ولم يعهد مثل ذلك في باب المحرمات اه يعني ومسئلتنا من باب المحرمات لا من باب العبادات واما غير الاخرس فان كان معتقل

اللسان ففيه اختلاف والفتوى على انه ان دامت العقلة الى وقت الموت يجوز اقراره بالاشارة والاشهاد عليه ومنهم من قدر الامتداد بسنة وهو ضعيف وان لم يكن معتقل اللسان لم تعتبر اشارته مطلقا لا في الحدود ولا في غيرها الا في اربع - الكفر والاسلام والنسب والافتاء. كما تنقيح الحامدية ويزاد اخذا من مسئلة الافتاء بالراس اشارة الشيخ في رواية الحديث وآمان الكافر والطلاق اذا كان تفسيرا لمبهم كما لو قال انت طالق هكذا واشار بثلاث وخص الثلاث اما لو قال انت طالق واشار بثلاث لم يقع الا واحدة واما لو قال انت هكذا مشيرا باصابعه ولم يقل طالق فقال في الاشباه لم ار فيه نصا قال الفاضل الحموي في حواشيه قال بعض الفضلاء يجب ان لا يقع شيء ولو نوى الطلاق لان اللفظ لا يشعر به والنية لا تؤثر بدون اللفظ اه وانما لم يقع الا واحدة في قوله انت طالق واشار بثلاث لفقد التشبيه بالعدد قال الفاضل القهستاني في شرح النقاية لانه كما لا يتحقق الطلاق بدون اللفظ لا يتحقق عدده بدونه ايضا اه واما ما نقله الحموي عن بعض الفضلاء وهو خير الدين الرملي فقد بحث فيه في رد المحتار اذ قال ورأيته بخط السايحاني مقتضى ما في الخانية من قوله ولو قال لامرأته انت ثلاث قال ابن الفضل اذا نوى يقع انه يقع في مسألتنا اذا نوى قال الفاضل الرحمتي لان الظاهر ان هكذا مثل قوله ثلاث قال في رد المحتار لان كلا منهما مرتبط بلفظ طالق مقدر وقول خير الدين الرملي ان اللفظ لا يشعر به ممنوع وتمامه فيه. ثم على مقتضى ما ذكره الابي في شرح صحيح مسلم من ان الحديث فيه الارشاد الى اعتبار الاشارة كالنطق يرد على اصحابنا الحنفية الاشكال بانكم قد خالفتم ما دل عليه الحديث من عدم اعتبار اشارة الناطق مطلقا الا في المسائل المستثناة فما وجه ذلك وما وجه استثناء تلك المسائل وما وجه عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود ولو حد القذف؟ فالجواب عنه اما عن المخالفة فبالمنع وذلك لان الحديث ورد مورد التشريع والتعليم فهو من قبيل الفتوى وقد علمت استثناءها فلا يدخل فيه ما كان من غير ذلك القبيل حتى يكون مرشدا الى اعتبار الاكتفاء بالاشارة في غيره. واما عن استثناء تلك المسائل فاما عن الكفر والاسلام فللحديث الذي رواه في شرح الشافية ان جارية اريد اعتاقها في كفارة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها اين الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مسلمة نقله الفاضل الحموي في حواشي الاشباه. واما عن الافتاء فقد قال في مجمع الفتاوي انما اعتبرت الاشارة فيه لان جواب المفتي ليس بحكم متعلق باللفظ انما اللفظ طريق معرفة الجواب عند المستفتي واذا حصل هذا المقصود استغنى المستفتي عن اللفظ كما لو حصل الجواب بالكتابة بخلاف الشهادة والوصاية فانهما يتعلقان باللفظ. والاشارة انما تقوم مقام اللفظ عند العجز عنه اه وأما عن النسب فلان الاشارة يفهم منها المقصود في الجملة وانه يحتاط في اثباته ولذا اثبتوا نسب ولد المشرقي من المغربية ومثله امان الكافر فانه يحتاط فيه ايضا فكان اعتبار الاشارة فيهما الاحتياط.

واما عن الطلاق فلانا قلنا باعتبار الاشارة حيث وقعت تفسيرا للمبهم لا وحدها قال الامام الزيلعي في التبيين ان الاشارة بالاصابع تفيد العلم بالعدد عرفا وشرعا اذا اقترنت بالاسم المبهم. واما عن عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود مع ان اشارته صحيحة شرعا فلان الاشارة لا تخلو عن احتمال وهو شبهة والحدود تدرأ بالشبهات صرح به ارباب كتب المذهب في ابواب الحدود لقوله صلى الله عليه وسلم ادرؤا الحدود بالشبهات ما استطعتم وهذا الدرء كان رحمة من المولى الكريم انزله على لسان رسوله الرؤف الرحيم عليه منا افضل الصلاة وأزكى التسليم.

التشريع الاسلامي

معنى دين الاسلام وشريعته ـ ما نتمايز به الاديان ـ المقصد من الارسال
حكمة التدريج في التشريع ـ الاحكام الشرعية اهي مؤبدة ام موقتة

بقلم العلامة الكبير فضيلة الشيخ محمد العزيز
جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

دين الاسلام وشريعته

قد تواطأت كلمة المسلمين على اختلاف طوائفهم وتباين منازعهم تواطأ هجم على ربات الحجال في قصورهن وبلغ الرعاة في شعف الجبال ان دين الاسلام وشريعته جملة اعتقادات وءاداب وطاعات واحكام متلقاة من المرشد الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فما دعا اليه عليه الصلاة والسلام من لاعتقادات التي يظاهرها الاحلام الراجحة وينصرها التدبر الصادق مما يفضي الى معرفة الله عز وجل او يكشف عما هو متوار بحجاب الاستتار من احوال الآخرة وما جاء به عليه الصلاة والسلام من الاداب القيمة المزكية للنفوس والصادة عن الانغماس في حمأة الرذيلة وما امر بـه من الطاعات سواء في ذلك ما تجلت حكمته وما دق امره وما شرعه من الاحكام اللاحقة باحوال الحياة كل ذلك امسمى دين الاسلام وشريعته ويشهد لكون الاحكام من الدين قوله تعلى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فجعل اقامة الحد من دين الله وقوله صلى الله عليه وسلم (في حديث الصحيحين في بيان الايمان والاسلام والاحسان) فانه جبريل اتاكم يعلمكم دينكم فسمى الجميع دينا وما معنى الايمان بالرسل الا تصديقهم في الارسال وفيما جاءوا به ومن جملة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام الاحكام اللاحقة باحوال الحياة

ما تتمايز به الاديان

الاديان والشرائع وان تعددت واختلفت بتعدد الارسال الا انها مرتضعة افاويق الوفاق فيما يتطلع الى الاعتقادات المتعلقة بالربوبية واحوال الآخرة والى الاخلاق الفاضلة وانظر الى دعواهم لعبادة الله كيف اتحدت وفي القرءان من ذلك انموذج عظيم ولتواطئهم في الاعتقادات على شيء واحد امر الله نبيه بالاقتداء بهداهم فقال بعد ان ذكر جماعة من المرسلين اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده

اما الاحكام وكيفية العبادات فهي التي ربما تختلف فيها كما يرشد اليه كتاب الله فيما قصه علينا في حق عيسى عليه السلام فقال جل ثناؤه (ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) ويفصح به قول الله تعلى في وصف النبيء الامي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) اي يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم ويضع عنهم الثقل والشدائد التي كانت عليهم كقتل النفس في التوبة وقطع اثر النجاسة وقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

المقصد من الارسال

المقصد الاسمى من الارسال والفائدة له نفخ روح الاعتقادات الطاهرة في ارجاء الصدور والتجميل بصبغة الاخلاق الفاضلة والتلقين لما يقرب الى الله تعالى زلفى من الطاعات وتقرير الاحكام المتعلقة باحوال الحياة يشهد لذلك قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد علمت مسمى الدين فيما سلف وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) اي القرءان والسنة ومن جملة ما تضمناه العقائد والاخلاق والقواعد العامة والاحكام الجزئية ولو لم يكن من مقاصد الارسال ما وقع الامتنان به ومثل ذلك قوله تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة الآية ولهذا اخذ النبيء صلى الله عليه وسلم العهد على الوفاء في الاعتقادات والاحكام والاداب فقال (كما في صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه) بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فبايعوه على ذلك

حكمة التدريج في التشريع

الارسال وان تضمن فوائد جمة للعباد بيد ان المرسل به ورد في الاكثر على سبيل التدريج وبحسبك نزول القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول ما بعثه الله بمكة وهو ابن اربعين سنة الى ان توفاه اليه بالمدينة فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة او ثلاثا وعشرين على حسب الاختلاف في سنه عليه الصلاة والسلام والحكمة في ذلك التيسير على الناس وتهيئتهم لقبول ما يرد عليهم فان النفوس اذا صقلت مرءاتها بالاعتقادات الطاهرة وتشبعت من الاخلاق الفاضلة وارتاضت بالطاعات لربها مرنت على الائتمار لاوامر مرشدها والانتهاء عن نواهيه وفي ورود ذلك دفعة واحدة حرج الفصال عن المالوف جملة والتباعد عن المعتاد بغتة فكان من اللطف بالعباد والرحمة لهم ان تلقوا ذلك في ازمنة متعددة لم يشعروا فيها بثقل التكاليف ووقر الاحكام وعلى هذا السنن وردت

الشريعة السمحة فكانت مناهلها عذبة سائغة للشاربين وما خرج صلى الله عليه وسلم من الحياة الدنيا حتى ضرب الدين بعطن وكملت احكامه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

والتدريج في الشريعة من الله تعالى كما رايت اما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن ليعرض عن التبليغ وما كان ليصده عن الضرب به بين ظهرانيهم توقع الاعراض ولا خيفة النفور من العباد وقوفا عند امر الله تعالى القائل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس والقائل فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

الاحكام محمولة على التابيد

الاحكام الموحى بها الى النبي صلى الله عليه وسلم محمولة على الدوام اعتبارا بالظاهر منها ولا يرفع ذلك الا ورود ما ينسخها بوحي من الله تعلى وقد انعقد على ذلك اجماع الكافة واشتهر اشتهارا استوى في العلم به خاصة الناس وعامتهم حتى حكى القاضي عياض في الشفا الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمع على نقله مقطوع به مجمع على حمله على ظاهره اه. ومتى مست الاحكام يد التغيير بغير طريق الشرع لم تنسب الاحكام الجديدة للشريعة وانما تنسب لمغيرها كحالة القوانين الوضعية ومما يزيد ذلك ايضاحا ويترك الشبه تتضاءل حوله افتضاحا ان الشرائع ما تعددت الا باعتبار تغير الاحكام فالشريعة الموسوية مثلا لم تنسب لموسى عليه السلام الا باعتبار الاحكام المتغيرة عن حالتها في الشرائع التي بين يديها اذ لا اختلاف بين الشرائع في غير الاحكام والطاعات كما علمت ولهذا كان الانبياء المبعوثون لتعليم شريعة سالفة واحيائها لا تنسب اليهم تلك الشريعة وانما تنسب لمن شرعها اولا بامر ربه كانبياء بني اسرايل المبعوثين بشريعة موسى عليه وعليهم السلام فتغير الاحكام يوجب ان يكون ذلك شريعة اخرى غير الشريعة المتقدمة على ان الاحكام لو كانت مشروعة اعتبارا بما يناسب الاحوال الحاصلة وقت ورودها حتى يلزم تغيرها بتغير تلك الاحوال لنبه على ذلك الشارع رفعا للبس وحماية من الوقوع في مهاوي الضلال كما بين ان النهي عن ادخار لحوم الاضاحي لحالة عرضت وهي الدابة التي نزلت المدينة واذ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا صفحا فمن انبانا ان مشروعية تلك الاحكام باعتبار الاحوال العارضة حتى تحدثنا انفسنا بامكان تغييرها شرعا وانظر انكار الصحابة على مروان بن الحكم لما قدم الخطبة في العيدين على الصلاة في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يصغ الى ما تعلل به من تغير الاحوال

ولو كانت الاحكام تتغير بتغير الاحوال ما صح الوعد بالجنة لمن قرا القرءان واحل حلاله وحرم حرامه ولا امر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولا نهيه عن المحدثات مع ان الاحاديث في ذلك كثيرة اخرجها الترمذي وابن ماجه وابو داود والطبراني وغيرهم

محمد العزيز جعيط

حكمة الصوم والحج

بقلم العلامة الكبير مفخرة المغرب الشيخ محمد
الحجوي مندوب المعارف بالحكومة الشريفية

ان الله شرع المسلمين شرائع عالية تهذيبا لهم وتدريبا ، ورياضة على الاخلاق العالية كالصوم والحج والزكاة وغيرها

ان الصوم شرعه الله والنبي صلى الله عليه وسلم بعث في جزيرة العرب القاحلة الكالحة بشمسها وغليان رمالها ففرض عليهم صوم نصف سدس السنة فقبلوا وامتثلوا وضحوا بنصف سدس عمرهم لا يتمتعون فيه بحرية في اكل ولا شرب ولا نوم. هجروا ملذاتهم على ضئالة الملذات ونزرة نعيم الحياة الدنيا في تلك الارض الجرداء العطشى. تدريبا لهم ان يتهيأوا للاسفار الشاقة كي يصبروا على لايوائها ويزهدوا في ملذاتهم لينالوا الشرف الاعظم وليتذوقوا ما يقاسيه الجائع من فقر او غربة ليواسوه ولا يتركوه عرضة الهلاك ولذلك اوجب عليهم الزكاة والكفارات ليجدوا صندوق احتياط لديهم يواسوه منه. ويستل من البخيل رغم انفه. لذلك كان عثمان بن عفان الخليفة الثالث يخطب الناس في رمضان يامرهم باخراج زكواتهم مواساة للفقراء والضعفاء وذوي الاستحقاق

كما ان للصوم فوائد اخرى ادبية صحية ينتفع بها الجسم لا سيما ذوو الثراء والتنعم وذلك معلوم من قواعد الصحة مشهور لدى غير المسلمين فاحرى عند المسلمين ولذلك كان الصوم موجودا عند كل الامم او جلها غير المسلمين وقبل الاسلام كما قال تعلى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم الآية غير انه لم يكن مدة شهر رمضان الذي انزل فيه القرءان

ان المسلمين فرطوا في اكثر الشرائع التي اكرموا بها ولم يعرفوا لها قيمة في متأخر الازمان كما هو مشاهد الا الصوم والحج

لاي شيء تحافظوا عليهما . . . ؟

تحافظوا عليهما لما يعلمون انهما رياضة على التضحية بل على اعلى انواعها وهي التضحية النفسية

في الصوم يضحي الانسان بما به قوام حياته الخاصة وملذاته الشهوانية من تمتع باكل وشرب وراحة ونوم ونكاح ومقدماته بل حتى بالتفكر في مقدماته فهم يروضون انفسهم على هذه العبادة الشاقة نعم المتناهية في ذلك في كل الفصول سواء برد الشتاء وزمهرير الثلج او قيظ المصيف وضيق النفس من لاوائه او نعيم الربيع وازهاره والخريف وثماره

ولقد بقي المسلمون محافظين على هذه الشريعة باعتبار المجموع واغلب كل امة منذ ثلاثة عشر

قرنا ونصف لم يفعلوا فعل الامم قبلهم التي ادخلت على صيامها انواعا من التغييرات حتى انعدم عندهم تقريبا الا ما شذ وهكذا تحافظوا على هذه الشعيرة العظيمة الفعل في التهذيب حتى من لم يكن يصلي ولا يفعل شيئا من شعائر الاسلام تجده محافظا كل المحافظة على الصيام. لم تستهوهم المدنية العصرية وما يرونه عند الامم الاخرى من الاستهتار في أتباع الشهوات والتفنن في الملذات واختراع الفتاوي والبهت في الدعاوي وتقنين قوانين سفسطائية يسقطون بها هيئة الديانات والتمسك بشرع السموات مع ما يظهر كل حين من بهرجة الحياة والرقي في انواع البذخ واستجلاب اصناف الراحات كل ذلك لم يؤثر على افكار مجموع الامة الاسلامية ولله الحمد. فترى الجمهور يستقبل هذا الشهر العظيم شهر الرياضة والشفقة والرقي الروحي بابتسام حقيقي وفرح جدي لا تصنع فيه ولا نفاق باتم فرح واكمل سرور فيهجرون فيه كل حرية نفسية ويمتثلون الاوامر القدسية ويعبدون الله وهم فرحون مسرورون مع انهم في الحقيقة متالمون لكن لا يحسون بالم ولا يتوجعون او يتفجعون بل بالعكس يتنعمون لانهم يعلمون انه تدريب لهم على التضحية كالتدريب على الخدمة العسكرية عند المتمدنين. لذلك كان اعظم غزاة ظهر فيها الاسلام وقعت في اول رمضان شرع فيه الصيام في السنة الثانية. ان المسلمين يعلمون انهم بالتدريب على الصيام امكن لسلفهم في مدة اثنتي عشرة سنة ان يبلغوا من المدينة المنورة الى الحدود الهندية والصينية شرقا والى طرابلس الغرب غربا والى سواحل البحر المتوسط والبحر الاسود والى السودان المصري فهذه هي الخريطة الاسلامية التي تركها لهم عمر بن الخطاب وبلغها بعد نبينا عليه السلام هو والخليفة قبله في مدة نحو اثنتي عشرة سنة بدون طيارة ولا مدفع ولا دباب ولا غواص ولا اسطول ولا سكة حديد ولا سيارة ولا سلك ولا لاسلكي وانما هو الايمان مع الارتياض على التضحية. وتحمل كل رزية. كان العربي يركب فرسه ويحمل شيئا من دقيق الشعير المقلى وجرعة ماء يقطع الفيافي ويحارب الشمس والمطر والثلج والوعر والوحش بالصبر والرياضة والايمان

وهكذا هو الحج ايضا رياضة على السفر الى مسافات شاسعة ثم عند الوصول لمكة المشرفة يروض نفسه على ان يتساوى مع الناس كلهم في الشارة واللباس سواء الملوك والسوقة وفي المجالس ويتخالط المسلم مع اخيه سواء كان اسود او أحمر او اصفر او ابيض ليكمل كل واحد ما يراه من النقص في الجنس الآخر بالارشاد والامداد ويعرف احوال العالم الاسلامي كله ويتنازل عن انانيته ان كان عظيما فينزل الى التسوية والى الديموقراطية الحقيقية

ويتنازل عن حريته فلا يقفْ في عرفات او مزدلفة الا في محل كذا ويرمي الاحجار في محل كذا بالخصوص متساويا مع غيره ويروض نفسه على ان يفخمها ويتادب فيهما جمارا مثلا وهكذا كل افعال الحج والعمرة لها حكم يضيق الوقت عن استقصائها. ولعل في هذا التنبيه بيانا لباقيها -

وبهذا يتبين وجه المحافظة على ابقاء الحج بالاشهر العربية. والصوم كذلك لتكون رياضتهما متاتية في الفصول كلها

حتى ان يوم اول رمضان واول شوال واول ذي الحجة ابقاه المسلمون على حاله كما كان في زمن النبوة يعتمد فيه رؤية الهلال ولا نقلد منجما ارشادا لنا الى الديموقراطية العجيبة يتساوى فيها طبقات الامة المنجم وغير المنجم وكل واحد يمكنه ان يشاهد الهلال ولا يقلد فيه ولا يجعل للمنجم أريستوقراطية (اومسولينية) ومن يضمن لنا عدم غلط المنجم

وفي ذلك تدريب للامة على التفكير والنقد واعطاء الراي والاجتهاد وبذل المجهود واظهار الاعتناء بهذه الشعائر الهامة ولنضرب مثلا

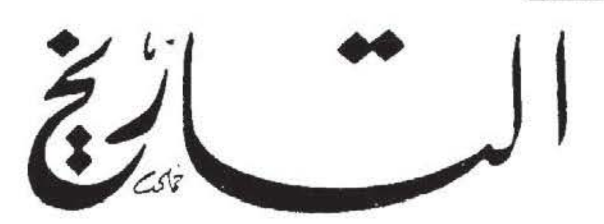
اذا اجتمع مغربي وتونسي تجدهما يتذاكران بتمام الحرية والصفاء ويتدربان على تبادل الاراء بانصاف عقب رمضان

المغربي مثلا يقول لاخيه التونسي عجب كيف تتقدمون قبلنا كل سنة (١) بيومين كاملين في خصوص شعبان ورمضان وشوال دون بقية الشهور لاي شيء يا اخي نختلف ونحن امة واحدة وجنس واحد ولغة واحدة ودين واحد ومذهب واحد (لان الهلال الامر فيه بتونس للمالكية) وثقافة واحدة ووجهة واحدة وان التفاوت في خصوص الشهرين يومين كاملين لا يخلو من مغزى دقيق تريدون ان تتقدموا علينا في كل شيء . ام تظنون ان بيننا من البعد ما يوجب هذا الفرق . . ؟ كلا فليس هناك ما يوجبه . نعم لو كان يوم واحد لاحتمل ولكان في السنة كلها . لكنه يومان وفي شهرين فقط وفي الغالب تتقدمون على الشرق والغرب معا ولا يعضدكم الفلكيون فما انتم في هذين الشهرين تكونون اميركيين ثم يقع التدحرج في الشهور شيئا فشيئا حتى يرجع الامر الى اتفاق . يا اخي اظن ان لكم حبسا يتقاضاه الشهود ان سبقونا فان لم يسبقونا حرموا . ان كان هذا فالواجب ابطال هذا الحبس لانه حبس يؤدي الى حرام . التونسي يجيب اخاه في هدو ومجاملة كما هي سجيته المباركة. ويقول والله يا اخي لا يوجد هذا ولا ذاك ولا ذاك وانما الديموقراطية قد يبالغ فيها حتى تؤول الى اريستوقراطية . والشيء اذا جاوز حده استحال الى ضده. ان الشريعة جعلت للشهود حرية آلت الى ديكتاتورية . ياتينا الشهود فيقولون راينا الهلال فكيف نكذبهم ؟ فيقضى الامر بما يقولون . . ؟ فنسأل الله ان يمد قضاتنا بروح نقد نزيه يقدرون به على القبول والرد. وكل امة انعدم منها النقد وقف رقيها بل صار الى وراء

المغربي : والله اني لاتألم اذا سمعت النقد من الاجانب في مثل هذه المسالة البسيطة التي صعب علينا ان نتفق فيها فكيف نفعل لو كانت عندنا مشاكل غيرنا الصعبة الحل

(١) يستثنى عام ٥٣ وعام٥٤ وعام ٥٥ فقد وقع اتفاق القطرين

صفحة من تاريخ تونس



وزراء تونس قبل الحماية وبعدها

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

قبل التعريف بخطة الوزراء والقابهم في نظام الدولة التونسية على عهد الحماية الفرنساوية وقبلها يستحب التعريف اولا بمعنى الوزارة في اصطلاح اهل النظر قديما وحديثا. فالوزارة معتبرة عندهم كجزء متمم للامارة لان الامير لا يقدر على مباشرة شئون الامة وتدبير مصالحها بانفراده فكان من المتعين ان يتخذ له وزيرا يستنيبه في التدبير ويشاركه في انفاذ أوامره ونواهيه وكانت الوزارة في البدء وزارة تفويض ووزارة تنفيذ لا ثالث لها قال في الاحكام السلطانية: وكانوا يشترطون في الوزارة ان يكون صاحبها من أهل الكفاءة فيما وكل اليه من أمري الحرب والخراج له خبرة بهما ومعرفة بتفصيلها. وحكي ان الخليفة المامون كتب في اختيار وزير فقال اني التمست لاموري رجلا جامعا لخصال الميز ذا عفة في خلايقه واستقامة في طرايقه قد هذبته الاداب واحكمته التجارب ان اوتمن على الاسرار قام بها

التونسي: وانا كذلك اتالم من هذا النقد بالخصوص. واتالم جد التالم من وجود شيء بيننا يعبر عنه في قواميسنا بالخلاف ولا نجد عبارة اخرى تلطف على اذاننا فنتجنب بها لفظ الخلاف لكننا امة افريقية ويا للاسف اشتقت من الفرقة بلا خلاف وهي تشعر بالخلاف. ليتنا نجد مرادفا للفظ افريقية لا يدل على الفرقة وينعدم بيننا الخلاف

المغربي: نعم يا اخي الانصاف انك اجبت الجواب القاضي على نقدي فان الشاهد هو الذي يقضي على القاضي. ولكن القاضي يجب عليه ان يعلم ان زرقاء اليمامة لم تترك ولدا

واني اعلم ان المغاربة ليس عندهم الصحو الذي في اديم الجو التونسي الجميل الصقيل وليس عندهم ما عند التونسيين من الاعتناء بامر الاهلة. ولم نسمع قط انه كان عندهم قاضي الاهلة

ولكن هذا كله لا يعدو ان يكون الفرق يوما واحدا. اما فرق يومين في رجب وشعبان فذلك من البعد بمكان ولو عمل بهذا الاستبعاد لكذب شهود رجب ثم شعبان ونتفق في اول رمضان واني اسأل الله ان يؤلف القلوب ويقرب الافكار

وان قلد مهمات الامور نهض فيها يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظه وتغنيه اللمحه له صولة الامراء واناءة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان احسن اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه اه. قال الامام الماوردي : اذا كملت هذه الاوصاف في الزعيم المدبر وقل ما تكمل فالصلاح بنظره عام وما يناط برأيه وتدبيره تام وان اختلت فالصلاح بحسبها يختل والتدبير على قدرها يعتل اه. هذا وقد جرى عمل امراء تونس منذ القديم باتخاذ وزراء لهم قياسا على غيرهم من ملوك الاسلام في الشرق والغرب فمن مشاهير وزراء الدولة الاغلبية نصر بن الصمصامه حاجب الامير ابراهيم بن الاغلب الثاني واشتهر في الدولة الحفصية الوزير البربري احمد بن تفراجين في المائة الثامنة وكان من أدهى أهل زمانه. وفي عهد حكم الاتراك اشتهر الوزير الحاج علي ثابت في ايام يوسف داي. كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في دولة البـاي حمودة باشا الحسيني والوزير خير الدين في عهد المشير محمد الصادق باي ثم اعلم ان للدولة التونسية في الزمن الحاضر ثلاثة وزراء من التونسيين وثلاثة وزراء من الفرنسويين وهؤلاء الثلاثة يتولون خطة الوزارة بطريق الاصالة وهم المقيم العام بصفة وزير للخارجية والجنرال القائد الاعلى للجيوش الفرنسوية بصفة وزير للحربية والاميرال الوالي البحري ببنزرت بصفة وزير للبحرية وقبل التعريف بخطة وزراء كلا الشقين نتكلم على اصل خطة الوزارة بالبلاط الحسيني ومتى كان ظهورها بين الناس. فالبايات الاولون لم يكن لديهم في البداية متوظفون بلقب الوزراء بل كان لكل واحد من أصحاب الوظائف العالية بالبلاط الملوكي لقب خاص به. فكان المأمور الاسمى على رأس طائفة المأمورين الساميين بالدولة هو صاحب الطابع يليه الباش كاتب فالخزندار فالباش مملوك. وقد اتفق لهم الجمع بين خطتي صاحب الطابع والخزندار في شخص واحد كما كان الحال في زمن الوزير شاكر فقد كان قابضا على تينك الخطتين بيد من حديد وقد حفظ له التاريخ ذكرا خالدا في مقام الاقتصاد والاحتفاظ بمداخيل الدولة رغم دسائس اعدائه ومكائد اضداده وهو أول من وضع ميزانية قارة للدخل والخرج تضمنت جراية ملكية للمولى حسين باشا باي قدرها خمسة آلاف ريال في الشهر واليه ترجع مزية دفع الدين الذي ترتب يومئذ على الدولة بسبب سوء تصرف الوزير حسين خوجه باش مملوك وقدره ثلاثة ملايين الامر الذي آل بهذا الوزير للسجن وبيع مكاسبه لفائدة الدولة ومن ذلك خزانة كتبه المشهورة التي صارت بالتالي وقفا على طلبة العلم بجامع الزيتونة

فأرباب الوظائف العالية التي ذكرناها كانوا في الحقيقة هم الوزراء لان البايات لقرب عهدهم بحكم الدايات ونظام حكومتهم هو الديوان المركب من الباشا والباي والداي والآغه والكاهية كانوا يتحاشون عن اتخاذ أعوان لهم بعنوان وزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن الماضي لسياسة لهم في ذلك نحو سلاطين آل عثمان ولما تأتى لهم اتخاذ الوزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن

الماضي كانوا لا يتجاهرون بذلك في مخاطبتهم مع الباب العالي وأول من خلع هذا القيد هو المشير محمد الصادق باي عند توجيهه للوزير خير الدين في طلب فرمان الولاية اثر صعوده على العرش الحسيني في سنة ١٢٧٦ قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف عند ذكر هذا الحادث : قال لي (الباي) نقصت من مقام خير الدين حيث لم تصفه بوزير البحر فقلت له هذه عادتنا في مكاتيب الدولة العلية فقال لي انه لم يتقدم ارسال وزير فقلت اني سلكت طريق الادب مع الحضرة السلطانية لان السلطنة تخاطب سيادتكم بالوزير واني للوزير ان يكون له وزير وفي مجاري العرف ان الوزير من خواص سلطنة الاستقلال فقال لي لم نحقر انفسنا ونحن في اعين الناس عظماء وان قنصل الفرنسيس يسلم لي الاستقلال الى ان قال وأمرني باعادة المكاتيب فاعدتها بزيادة لفظ الوزير اه .

واعلم ان أول وزير سمي رسميا بهذا اللقب هو وزير العمالة مصطفى خزندار في عهد المشير أحمد باي الاول ولكن المؤرخين ومن حذا حذوهم من الكتاب وخاصة اهل الدولة واهل العلم كانوا يطلقون لقب الوزير على رجال البلاط وينعتونهم بذلك لان الوظائف المباشرين لها كانت مطابقة لخطة الوزارة في العرف بين الناس وممن اشتهر بذلك اللقب في اوائل العصر الحسيني على عهد المولى محمد الرشيد باي وأخيه المولى علي باي الوزير اسماعيل كاهية والوزير رجب خزندار والوزير مصطفى حفصه كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في ايام الباي حمودة باشا والوزير العربي زروق والوزير حسين باش مملوك والوزير شاكير صاحب الطابع والوزير سليمان كاهية والوزيرين الاخوين محمد ومحمد ابني محمد الاصرم في دولة الباي حسين باشا بن محمود باي وءاخر تلك الطبقة من الوزراء بالصفة التي قررناها الوزير مصطفى صاحب الطابع صهر الباشا مصطفى باي . فلما ءالت الدولة لنوبة المشير أحمد باي وهو من علمت في حب الظهور والتعالى والتدرج في الحكم المطلق مع التغالي والطموح في مجاراة الدول ذات الرسوخ في المدنية وذلك رغم فقر هذه البلاد وعجزها في زمنه عن مذاهب الاسراف والتبذير الامر الذي ءال بها الى الافلاس في ءاخر ايامه رتب خطط الوزراء التي دخل عليها واضاف لها وزراء ءاخرين منهم وزير العمالة الذي تقدم ذكره وهذه الخطة تقابلها خطة وزير الداخلية في الاصطلاح الاروباوي ووزير البحر وكان يلقب قبل ذلك بامين الترسخانة ووزير الحرب وكان هو صاحب الزغاية ووزير الخارجية وكان هو ترجمانه والواسطة بينه وبين القناصل المنتصبين بتونس ومن هذه الخطة تولدت خطة مدير التشريفات في الدولة الصادقية ولكن بعنوان ءاخر قاصر على الترجمة وترتيب اساليب القبول في بعض المواكب ثم عزز طائفة الوزراء بالوزير الاكبر وابقاه على وزارة العمالة والحق بهم الدولاتلي وهو نفسه الداي ولقبه بوزير التنفيذ فكان اصحاب الخطط الوزيرية في دولة المشير احمد باي هم :

الوزير الاكبر — وزير العمالة — الخزندار — الباش كاتب — وزير الحرب — وزير البحر وزير الخارجية — وزير التنفيذ

وانتزعت من يومئذ الصبغة الوزيرية من خطة صاحب الطابع ومن خطة الباش مملوك

واعلم ان اولئك الوزراء كانوا كلهم من طبقة المماليك حاشا الباش كاتب فانه كان من أهل العلم ومن أبناء البيوت التونسية(١)

---

(١) كانوا ينتخبون صاحب هذه الخطة في الدور القديم من بين أهل العلم وكان الباش كاتب هو الواسطة بين العلماء وبين الدولة وهذه الخطة عريقة في الدولة الحسينية وكانت موجودة ايضا في الدول التي تقدمتها ولكنها تختلف عنها في التسمية فقط فكان الباش كاتب في عهد الدولة الحفصية هو رئيس ديوان الانشاء وهذا اللقب كانوا ينعتونه في الدولة المرادية وفي اوائل الدولة الحسينية ايضا وكان من وظائفه الرقابة على ضبط المجابي وحسابات الدولة وهذا هو الاصل في اقامة نائب عن وزير القلم في هذا الزمان بادارة المال لتعقب حسابات العمال . اما الفضلاء الذين تولوا هذه الخطة في الدولة الحسينية من أولها الى هذا الزمان فقد يسر الله لي جمع اسمائهم بعد عناء البحث الطويل واليك البيان :

ففي دولة المولى حسين بن علي تركي كان رئيس ديوان الانشاء والكتابة هو الشيخ الحاج بلحسن السهيلي

وفي دولة الباشا علي باي الاول تولى تلك الخطة الشيخ عبد اللطيف السهيلي وقتل فتولاها بعده الشيخ عبد الرحمن البقلوطي

وفي دولة المولى محمد الرشيد باي تولاها الشيخ احمد بن محمد الاصرم

وفي دولة اخيه المولى علي باي الثاني عاد لها الشيخ عبد الرحمن البقلوطي

وفي دولة ابنه الباي حمودة باشا باشرها الشيخ عبد الرحمن المذكور وخلفه في الخطة الشيخ الحاج حمودة بن عبد العزيز فالشيخ محمد بن حسين الدرناوي فالشيخ محمد بن محمد الاصرم واستمر على مباشرتها الى ان تولى مكانه اخوه الشيخ محمود الاصرم فكان هو الباش كاتب في دولة المولى حسين باي الثاني

وفي دولة اخيه المولى مصطفى باي كان صاحب خطة الباش كاتب هو الشيخ محمد بن محمد الاصرم وباشرها ايضا في اوائل دولة ابنه المشير الاول احمد باي وبقي على خطته مع الانقطاع عن مباشرتها في بقية الدولة المذكورة وكذلك في مدة المشير الثاني محمد باي وتوفي في صدر دولة المشير الثالث محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ وهذا الفاضل جمع بين عزة النفس وبين فصاحة القلم ورقة الادب ومن شعره قصيدة فريدة تضمنت كثيرا من الرموز والاشارات لاحوال دولة متبوعه المشير احمد باي وهي احدى خرائده الكثيرة التي نسجت عليها عناكب النسيان لانها لم تخرج من بطون الدواوين لعالم النشر نقتطف منها ما به الحاجة هنا نقلا عن كناش للكاتب الاديب المرحوم الشيخ حمودة تاج ومطلعها :

الصبر مفتاح لكل ايـاس ... فاصبر ولا تك للنصيحة ناسي

ومنها :

لهفي على ترشيش حتى قيل لي ... وان الضنين بها وبالايناس

ما في وقوفك ساعة من باس ... تقضي زمام الاربع الادراس

فانقض صبري والتجلد مطمعي ... جريا على حال بغير قياس

فانجاب جنح الليل عن صبح الهدى ... عن وجه احمد طيب الانفاس

احيى السرور وزال وجه البـاس ... وغدا الهناء لكل ناد كاسي

ووزير الخارجية الذي كان من أبناء الجنس الطلياني ولكنه كان في حكم المماليك (١) ومن ذلك العهد اخذت تلك الخطط في التدرج نحو الصبغة الوزيرية الحقيقية تبعا لناموس التطور الطبيعي المستمد من التمدن الاروباوي الذي كان يزداد يوما فيوما بهذه الديار من وقت استيلاء فرنسا على الجزائر في سنة ١٢٤٦ فكانت الدولة التونسية في عهد المشير محمد الصادق باي قائمة على أركان متينة لها شبه من قريب بالوزارات في الدول المتمدنة حيث اقاموا لجانب كل وزير مستشارا يعضده في المباشرة ورتبوا اقسام الخدمة واحدثوا خطة وزير القلم في سنة ١٢٨١ اضيفت

وتتوجت ترشيشنا بمليكها ... وازدانت الدنيا بحسن لباس
واسود وجه عدوها حسدا لها ... وابيض وجه صديقها الوناس

الى ان قال :

يا احمد الميمون في حركاته ... يا ابن المكارم يا ابا العباس
العدل اس للدوام مصيره ... والظلم بنيان بغير أساس
والنفس تأبى أن تضام جبلة ... فاكتل لها ما كلته للناس
والبيت لا يرسو بغير عماده ... فاجمع اذا اوتاده بقياس
لا تصلح الدنيا ولا احوالها ... ما لم تكن أنت الطبيب الاسي
واحذر مكائد كل من صاحبته ... واعمل بما قد قيل في الخناس
اني سبرت الخلق طرا اصبحوا ... فوضى بلا كيل ولا مقياس

ولما التحق الشيخ محمد الاصرم بالدار الآخرة في سنة ١٢٧٧ كما سلف ذكره بقيت خطة الباش كاتب بحال شغور الى سنة ١٢٨١ وفيها تقدم للخطة عن جدارة واستحقاق العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور من خريجي جامع الزيتونة ومن بيوت المجد وهو اول من تولى خطة وزير القلم في السنة المذكورة أحدثها لأجله المشير محمد الصادق باي لجعله في منزلة واحدة مع بقية وزرائه لان خطة الباش كاتب ادركها يومئذ الوهن والضعف بسبب ابتعاد صاحبها عن ساحة الدولة مدة تقرب من عشرين سنة فاصدر له الباي امرا بولايته باش كاتب وامرا ءاخر بولايته وزيرا للقلم ثم اضاف له وزارة المال ولقبه بعد ذلك بوزير الاستشارة ويعتقد كثير من اهل هذا العصر ان الشيخ احمد بن ابي الضياف تولى خطة الباش كاتب ووزارة القلم والحقيقة انه لم يتول الواحدة ولا الاخرى . نعم انه ترجع له مزية تهذيب اساليب ديوان الانشاء بالدولة لانه اول من امتلك بتونس كتاب نفح الطيب قالوا انه ابتاعه يومئذ بالف ريال ومائة ريال واستفاد منه وافاد وكان لقبه الرسمي كاتب سر الدولة واتفق له مباشرة خطة الباش كاتب بالنيابة في كامل المدة التى احتجب فيها صاحبها الشيخ محمد الاصرم لما كان عليه من حدة الطبع الامر الذي دعى سمو الباي للاعراض عنه ولكن المشير محمد الصادق باي تفضل عليه بلقب وزير وهذا اللقب بقي اسمه مقرونا به الى هذا الزمان . واما الاعيان الذين تقدموا لخطة الباش كاتب ووزارة القلم بعد الشيخ محمد العزيز بوعتور فقد ذكرنا اسماءهم بقائمة الوزراء في عصر الحماية

(١) هو أمير الامراء الكونت جوزايبن رافو من بيوت المجد الطلياني التحق بالبلاط الحسيني في عهد المولى مصطفى باي وتدرج في المناصب العالية وقام بالمأموريات الهامة في دولة المشير احمد باي فكان وزيره للخارجية توفي بباريس في ٢ اكتوبر ١٨٦٢ ونقل جثمانه ودفن بتونس وخلفه في خطة الترجمة ابنه امير الامراء الكونت فيليكس رافو وتوفي في ١٩ اشتنبر ١٨٧٢

للباش كاتب ليكون في صعيد واحد مع وزراء الدولة فهما خطتان اثنتان لا خطة واحدة جمعهما سمو الباي محمد الصادق لاول مرة في شخص كاتب سره الشيخ محمد العزيز بوعتور واضاف له في سنة ١٢٩٠ لقب وزير الاستشارة وفيما بين ذلك قلده خطة وزير المالية في سنة ١٢٨٣ فكان وزيرا للمال بلا مال لان صناديق الدولة كانت يومئذ أفرغ من فؤاد أم موسى كما تفضل بلقب الوزير على كاتب سر الدولة الشيخ أحمد بن أبي الضياف ومات هذا اللقب مع صاحبه في سنة ١٢٩١ وأحدثوا تبعا لذلك خطة كاتب سر الوزير الاكبر (١) نيطت بعهدة امير الامراء الشيخ محمد البكوش وفي سنة ١٢٨٦ احدث الباي خطة الوزير المباشر وهي خطة لها شبه من قريب بخطة الكاتب العام في عهد الحماية وسنعود للكلام عليها قريبا ثم احدث الباي لقب وزير الشورى بعنوان الوزير محمد خزندار وأضاف لقب وزير استشارة لمستشار المعارف حسين المملوك وكلفه مع ذلك بالنافعة وهي الاشغال العامة وجعل للوزير المباشر المتقدم ذكره وهو المرحوم خير الدين حق النظر على كافة الوزارات واليك نص الامر العلى (٢) الصادر في تسميته مع بيان سلطته ووظائفه :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعلى اعماله وبلغه من ثمرات النجاح اماله الى من يقف على أمرنا هذا من أبنائنا امراء الامراء أعيان الوزراء وأمراء الالوية وأمراء الالايات وقائمي المقامات وأمناء الالايات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية وسائر أولي الولايات فيما لنا من الجهات أصلح الله أحوال جميعهم وأجرى على نهج السداد جميع صنيعهم . اما بعد فاننا بمقتضى أمرنا المؤرخ بيوم التاريخ المتضمن ما ظهر لنا من المصلحة وهي جعل الوزارة الكبرى مركبة من وزارة العمالة والخارجية والمال والنظارة على وزارتي الحرب والبحر اولينا الهمام المفخم نخبة الاعيان وعمدة أهل المجد والشان أمير الامراء الوزير ابننا خير الدين يباشر خدمة الوزارة الكبرى تحت رءاسة جناب وزيرنا الاكبر ويلقب في خطابه ومخاطباته بالوزير المباشر فليقم بخطته عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من جميل اثارها وعلى سائر رجال دولتنا اعانة ابننا المذكور على خدمته وتيسير أسباب نجاحها والله ولي اعانته وتوفيقه الى نهج النجاح وطريقه . وكتب في ١٥ شوال المبارك سنة ١٢٨٦ اهـ

---

(١) خطة كاتب سر الوزير الاكبر في الدور القديم وقع الغاؤها عند ما نفض الوزير مصطفى خزندار يده من الوزارة الكبرى لان خلفه في الخطة الوزير خير الدين اعاد ترتيب الوزارات على قواعد جديدة في سنة ١٢٩٢ وجعل كتابة السر من مشمولات خطة رئيس القسم الاول وهكذا استرسل الامر في مدة الوزراء الاولين في عهد الحماية الى ان تولى الوزارة الكبرى المرحوم ابو النخبة مصطفى دنقزلي فاحيا تلك الخطة واسندها لكاهية رئيس القسم الاول وهو السيد مصطفى صفر شيخ المدينة الحالي

(٢) احتوت مكتبتنا ضمن ما لدينا من الوثائق التاريخية على عين المرسوم الملوكي الصادر بولاية الوزير خير الدين خطة الوزير المباشر

فكان للدولة التونسية في سنة ١٢٨٦ ثماني وزارات منوطة بمن يأتي ذكرهم
الوزير الاكبر — الوزير المباشر — وزير العمالة — وزير الخارجية — وزير القلم وباش كاتب — وزير المال — وزير الحرب — وزير البحر

ويستفاد من كتاب صفوة الاعتبار ان اربعة من هذه الوزارات كانت يومئذ بيد الوزير مصطفى خزندار قال في صفحة ٢٣ من الجزء الثاني عند التعرض لذكر مرتبات هذا الوزير

١٤٠٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة العمالة
٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجيه
٦٠٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٦٠٠٠٠	مرتبه على نيشان ءال البيت الحسيني الذي هو حامل له
٣٨٠٠٠٠	الجملة ريالات

وهذا المقدار يساوي نحو المليونين ونصف من الفرنكات بصرف هذا الزمان. ثم الغيت خطة الوزير المباشر بدسايس من كادهم امره بالبلاط الصادقي

هذا ما يتعلق بنظام الوزراء قبل الحماية. وسنتحدث في العدد الاتي ان شاء الله عن نظام الوزراء من عهد الحماية الى اليوم.

محمد بن الخوجة

المعــروف

المعروف هو الصفة التي رغب فيها رسول رب العالمين قال عليه الصلاة والسلام كل معروف صدقة وانما يختار له محله الذي هو اهل له . قال خالد بن صفوان : لا تصنع المعروف الى ثلاثة : الفاحش واللئيم والاحمق فاما الفاحش فيقول : انما صنع هذاي (٣) اتقاء لفحشي ، واما الاحمق فلا يعرف المعروف فيشكره ، واما اللئيم فكالارض السبخة لا تثمر ولا تنمي. فاذا (٤) رايت السري فدع المعروف (٥) عنده واستحصد الشكر ، وانا لك الضامن.

الشرف الحسني والحسيني

وجد بالقيروان من أواسط الدور الاغلبي

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد
احد اعيان العدول بمدينة القيروان

يوجد الى اليوم بمقبرة قريش المعروفة سابقا بالمقابر الغربية والآن بالجناح الاخضر قبران متلاصقان يعرفان الى اليوم بقبري الحسنين عليهما عمود من الصخر الابيض مكتوب عليه (١) بالخط الكوفي المحفورة حروفه الدال على انها كتبت في أواسط وأواخر الدور الاغلبي غير انه لا يوجد به تاريخ وفاة احد الاخوين ومع ذلك فهو ادل دليل على ان وفاتهما كانت في اواخر المائة الثانية للهجرة وبكل تقدير لا يمكن ان تكون بعد المائتين والخمسين لانهم لم يستعمل عندهم في ذلك العصر ذكر تاريخ الوفاة على القبور ولو لمشاهير الرجال مع شهرة تلك القبور وامكنتها وزيارة الناس لها الى اليوم

وها هي قبور اشهر مشاهير الرجال موجودة الى اليوم ولا كتابة عليها كقبر ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمي اول ولاة بني الاغلب لبني العباس ولاه الرشيد العباسي امارة افريقية سنة ١٨٤ ووفاته سنة ١٩٩ وقبره بمقبرة باب نافع معروف الى اليوم مشهور عند جميع الناس حتى الصبيان

وكذا يقال في قبر سحنون الذي لم يوضع عليه الى اليوم ما يشعر بوفاته عام ٢٤٠ مع شهرته النادرة المثال واعتناء الناس بزيارته الى اليوم

وكذا يقال في قبر ابنه محمد وحفيده الذين اقام سؤدد العلم بدارهم مائة ونيفا وعشرين سنة الى غير ذلك من مشاهير العلماء والتابعين

وانما حب الناس عموما في ءال البيت دعا الناس لتشهير هذين الحسنين الصميمين فجعلوا هذا العمود على قبريهما والتنويه بئال النبي صلى الله عليه وسلم الا كرمين وذكر خصائصهم الواردة في السنة ولا حاجة تدعوهم لذكر تاريخ الوفاة

وهذا لا يحملنا على اهمال معرفة وفاتهما ولو على سبيل التقريب والقياس وذلك بعدة طرق منها انا اذا عملنا بالقاعدة المعمول بها من كثير في مثل هذا الشان - ونسبت لابن خلدون - وهي ان القرن اعني المائة سنة بثلاثة احيال ، وعددنا الاباء بين هذين الحفيدين وجدهما سيدنا الحسن السبط رضي الله عنهم نجدهم من والدهما احمد لجدهما الحسن السبط ستة اباء فيكونان موجودين في ءاخر المائة الثانية من وفاة جدهما الحسن السبط رضي الله عنهم

وهناك طريق ءاخر وهو طريق القياس وربما جاء مؤيدا ومدعما لما تقدم وهو ان التاريخ حكى لنا ان من الملوك الادريسيين بمراكش محمد (١) بن ادريس (٢) الاصغر بن ادريس (٣) الاكبر بن عبد الله (٤) بن الحسن (٥) المثنى بن الحسن (٦) السبط ولي عام وفاة والده ٢١٣ وتوفي عام ٢٢١

ومثله الشريف الحسيني المشهور بابن طباطبا وهو محمد (١) بن ابراهيم (٢) بن اسماعيل (٣) ابن ابراهيم (٤) بن الحسن (٥) بن الحسين (٦) بن علي بن ابي طالب الذي قدم على المهدي العباسي فاجازه باربعين الف دينار وبايعه الناس وقتل بمكة سنة ١٦٩

فاقتضت هاته الاقيسة وهذا التقدير ان هذين الحسنين توفيا قبل عام ٢٥٠ للهجرة

واما الشرف الحسيني بالقيروان والكلام على السادة ءال عوانة فسيتبع هذا بحوله تعالى

---

(١) انظر نص الكتابة في الصفحة التالية

مثال العمود الذي على قبري الحسنين

بيان مارسم على العمود

١ - بسم الله الرحمن الرحيم قـل هو
٢ - الله احـد الله الصـمـد لـم يـلـد
٣ - ولم يولـد ولم يكن له كفؤا أحـد
٤ - هـذان قبـرا محمد وفـاطمة ابـني
٥ - احمد بن علي بن اسمعيل بن الحسن بن
٦ - ابي بكر بن الحسن بن علي بن ابي طالب
٧ - صلوات الله عليهم اجمعين جـد
٨ - هما محمـد رسول الله صلى الله عليـه
٩ - وسلم وابوهما عـلي بن ابي طـالب
١٠ - سيف الله في الارض واول من امن
١١ - بالله واخو رسوله وابوهـما الحسن
١٢ - وعمهـما الحسين سيدا شبـاب اهل
١٣ - الجنة وعمهـما حمزة سيـد الشهـد
١٤ - وعمهما ايضا جعفر ذا الجنـاحين
١٥ - الطيار في الجنة وامهما فـاطمة بنت
١٦ - رسول الله سيـدة نسا العالمين
١٧ - وجدتهمـا خديجة بنت خـويلد
١٨ - اول نسا العلمـين ايمانـا بـالله لها
١٩ - في الجنـة بيت من قصب لا صخب
٢٠ - فيـه ولا نصب هـولا صفـوة
٢١ - الله من خلقه محمد فاهل بيته الطيبون الاخيار
٢٢ - المتقون الابرار الذين إذهب الله عنهم الر
٢٣ جس وطهرهم تطهيرا رضي الله عنهم اجمعين

---

(٧) ذكر الصلاة هنا عوض قوله رضي الله عنهم دلنا على ان الكتابة في هذا العمود تاريخها متاخر عن تاريخ وفاة هذين الاخوين وذلك لان الصلاة على علي وءاله انما حدثت من عهد العبيديين ويشرح هذا انه لما اتى ابو العباس الصنعاني اخو عبيد الله المهدى بجيشه لقتال زيادة الله بن الاغلب ءاخر ملوك بني الاغلب سنة ٢٩٦ وفر منه الاخير وحل بقصر ابراهيم بن احمد بن الاغلب بن قادة وجاءه اهل القيروان مسلمين عليه ولم يكن من بين علمائهم ابوعثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن الحداد المولود بالقيروان سنة ٢١٩ والمتوفى بها سنة ٣٠٢ ارسل اليه ابو العباس ولما جاءه ناظره في عدة مجالس قال له في اولها انتم تبغضون عليا يا اهل المدينة (يعني المالكية) فقال ابو عثمان علي مبغض علي لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وكيف ابغض عليا وقد سمعت سحنون بن سعيد (شيخه الذى اخذ عنه) وهو امام اهل المدينة بالمغرب يقول علي بن ابي طالب امامي في ديني اهتدى بهديه واستن بسنته رحمة الله عليه فقال ابو العباس بل صلوات الله عليه قال ابو عثمان فرفعت صوتي وقلت ان الصلاة في كلام العرب الدعاء وقلت قال الاعشى

تقول بنتي وقـد قربت مـرتحلا   يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا
عليك مثـل الذى صليت فـاغتمضي   نومـا فان لجنب المـرء مضطجعا

قال ابو عثمان ثم قلت نعم فصلى الله على علي بن ابي طالب والحسن والحسين واهل طاعة الله اجمعين من أهل السماوات والارضين الخ ما ذكره ابو العرب في طبقات علماء افريقية

الفتاوي والاحكام

ورد على ادارة المجلة الاسئلة الآتية وقد اجاب عنها العالم الفاضل الشيخ علي النيفر المدرس المالكي من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة :

س (١) — ما قولكم في امام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى ايس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة ام لا ؟

(الجواب) ان هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وادائهم لها ظهرا حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة اذ من المعلوم ان الخطبتين شرط صحة في صلاة الجمعة قال خليل عاطفا على شروط صحة صلاة الجمعة ما نصه ـ وبخطبتين قبل الصلاة مما تسميه العرب خطبة اه ـ وحيث زال عذرهم بحضور من يحسن الخطبة وهو امامهم الراتب وجب عليهم اداء الجمعة معه ولو كان ذلك في وقتها الضروري الممتد الى الغروب لان وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر قال خليل ما نصه ـ او زال عذره ـ قال عبد الباقي في شرح هذه العبارة على طريقة المزج حسب عادته ما نصه ـ (او زال) عمن صلى الظهر لعذر (عذره) ويدرك مع الامام ركعة فانها تجب عليه ـ اه

س (٢) ـ ما قولكم في واقعة حال صورتها ان هناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي اهلها الجمعة بقرية اخرى تبعد عنها نحو الاربعة اميال مات بعض اهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى اهل قريته ان الاولى الاشتغال بمؤن تجهيزه ودفنه وان كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم اذا أخروا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تاخر امر الجنازة الى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه الا مع الغروب واراد امام قرية الجمعة تأخير امر الجنازة الى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية

(الجواب) ان ما رآه اهل القرية من المبادرة بتجهيز الميت المؤدي الى تركهم صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التاخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد ـ ومما يبيح التخلف (اي عن صلاة الجمعة) الاشتغال بجنازة ميت ينظر في امره اذا لم يجد من يكفنه وخشي عليه التغيير ان اخره لصلاة الجمعه اه ـ اما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل (ويصلح ان يكون دليلا للصورة الاولى ايضا) ما نصه قد وردت

السنـــة ان من إكـرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه وكان بعض العلماء يحافظ على السنـة اذا جاءوا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويامر اهله ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة اه. قال العلامة الاجهوري ما نصه ـ ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغيره ولا خشي عليه الضيـاع اه فاذا كان تاخير دفن الميت بمقـدار صلاة الجمعـة بدعة يتحاشى عنها فتاخيره الى الغروب اشد ابتداعا خصوصا اذا اضفنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعـة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم بعها السعي لصلاة الجمعة

س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعـة والخطيب هو الغاسل والوقت عند الزوال ايهما اولى للامام تقديم الجنازة وتاخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتاخير الجنازة الى الاصفـرار

(الجواب) ان السنـــة في الجنازة ان لا تاخر كما تقدم عن ابن الحـاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فهنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستحبـابا ان لم يخش تغيره ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم اميين فيصلونها ظهرا في ءاخر وقتها الاختياري ويعيدونها جمعة ان لم تغرب الشمس فـان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميت في هذه الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفـرار او بعد الغروب لكراهة الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم

علي النيفر

حكم اخلاقية

قال ابو الحسن علي بن محمد الصغاني :

الحزم اسد الاراء . والغفلة اضر الاعداء . ومن قعد عن حليلته اقامته الشدائـد . ومن نـام عن عدوه انبهته المكائد . ومن سالـم الناس سلم . ومن قـدم الحزم غنم . ومن لزم الحلم لم يعـدم السلم . ومن ضعف رايه قوي ضده . ومن ساء تدبيره اهلكه جده . والغرة ثمرة الجهل . والتجربة مرآة العقل والصبر على الغصة يؤدي الى الفرصة . ومن استرشد غويا ظل . ومن استنجد ضعيفـا ذل . ومن ضل مشيره قل نصيره . والاناة حسن . والتودد يمن . ومن نام عن نصرة وليه . انتبه بوطأة عدوه . ومن دام كسله خـاب امله . والعجـول مخطيء وان ملك . والمتئـد مصيب وان هلك . ومن بان عجزه . زال عزه . ومن استبد برايه خفت وطأته على اعدائه . والرفق مفتـاح الرزق . ومن نظر في العواقب . سلم من النوائب .

الوعظ والارشاد

تزكية النفس

خطبة منبرية للعالم الفاضل الشيخ الجيلاني
حمزة الامام بجامع مصطفى بالمهدية

الحمد لله الذي جعل قواعد الاسلام كلها وسائل لتزكية النفوس من الشرك والفساد ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له امرنا بتزكية نفوسنا لان في ذلك الفلاح والسداد . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله كان يحب الخير لجميع العباد ، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى ءاله واصحابه السادة الامجاد ، وسلم تسليما كثيرا . ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المرء مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر اما من اكتفى من الاسلام باسمه ، ومن الشرع برسمه ، ثم لا يكون لذلك اثر في تزكية نفسه ، فهو من المنافقين ، وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين ، لان مخالفة الظاهر للباطن ءاية النفاق والمنافقون في الدرك الاسفل من النار ، ولهم في الآخرة الخزي والعار . اني اعجب يا عباد الله اشد العجب لمن يعتني بتنظيف نعله وثوبه ولا يعتني بتنظيف قلبه وهو يعلم ان وسخ النعل والثوب لا يورثان في الآخرة عذابا ، ولا يشددان على النفس حسابا ، وان وسخ القلب بالحقد والحسد والبغض يجعل القلب في خراب ويسود الصحيفة والكتاب ويجعل بين صاحبه وبين الله كثيف الحجاب . اني احب للمسلم ان يعتني بتنظيف جسمه وثوبه لان النظافة من الايمان والوسخ من الشيطان لكني لا احب للمسلم ان يوجه معظم عنايته لنظافة ظاهره واهمال باطنه لئلا يكون غاشا والغشاش ليس من المسلمين ، ولا من اتباع النبي الناجين . ان من الناس من ترى بضاعته كلاما في كلام ، ظاهره سلام وباطنه خصام ، يحسب ان شهادة لسانه وحركات جسمه بالصلاة وتحريك شفتيه بالتسبيح هي كل شيء في الاسلام او هي كافية ليحسب في عداد المتقين ونسي ان قواعد الاسلام كلها وسائل تؤدي الى غاية مثلى هي تطهير النفوس من النفاق . والتجمل بمكارم الاخلاق . تاملوا عباد الله في قول الله عز وجل (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقول النبي صلى الله عليه وسلم من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا تروا ان العبادة البدنية لا تقع موقعها من رضاء الله تعالى الملك الديان الا اذا ادت الى تزكية النفس من جميع

الموبقات والادران . لما لها من الاثر البين والنفع الظاهر في مصالح البشر والدنو من مواطن الخير والبعد عن مواطن الشر لذلك قال بعض علمائنا المتقدمين (ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس) وكما قلنا في الصلاة فكذلك في الزكاة فان المال شقيق الروح فمن جاد بماله على الفقير ابتغاء مرضاة ربه عظمت في عينه الحياة الباقية وصغرت الفانية واستنار قلبه بنور الايمان واقام البرهان على صدق نسبته الى الاسلام واتباعه لاوامر الملك الديان وكذلك الحج فهو الدواء الاجتماعي لمرض الفرقة بين الامم، ولتذكر يوم القيامة والعرض على محيي الرمم، الذي بالاعادة للحياة حكم، وبالجملة فانكم لا تجدون قاعدة من قواعد الدين الا كانت غايتها تزكية النفس وجعلها نقية طيبة لان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب ولهذا تقول لهم الملائكة (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) فكل هذه الآيات والاحاديث الشريفة صريحة في انه لا سبيل الى تزكية النفس الا سلوك طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو الموصل الى طريق الله قال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فطريق الله منهج المؤمنين الصادقين والحصن الحصين للخائفين ، فمن سلك غيره اخطأ مراده ولاقى يوم الجزاء كل الهوان والبلاء المبين ، فما بالكم ايها المسلمون لا تنتبهون وقد كوتكم الحوادث بنيرانها كيا ما بالكم لا تحرصون على ان تكونوا عاملين صادقين مستقيمين كما امركم رب العالمين ما بالكم اعرضتم عن تعاليم الدين واتبعتم الشيطان اللعين فمن اكبر افات الامم يا عباد الله ان يتهاون اهلها في امور دينهم فيبوءوا بالنكال والخسران المبين وفي التنزيل من النذر ما لو قرع الاسماع الواعية لصد القلوب الجامحة عن غوايتها ولرد النفوس النافرة الى هدايتها ، من ذلك قول الله عز وجل « أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في تقلبهم فماهم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرءوف رحيم » ان الاسف يملا افئدتنا ياعباد الله في هذه السنين لانهيار صرح الدين والاسى يفتت الاكباد لازدياد الفساد فاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الباطل كهذا العصر الذي يسمونه عصر العلم والحضارة والنور وما هو في الحقيقة الا عصر الفسق والكذب والغش والزور والبهتان والتملق والخيانة والتضليل وجميع انواع الفجور . كأن الاختلاق ونقض العهد من خلال الخير التي يتنافس فيها المتنافسون . ويسارع اليها المؤمنون . والله لولا ايماننا ويقيننا بان الله جل وعلا رفع البلاء العام والاستئصال التام لكنا اول المنتظرين للطوفان الذي لا عاصم منه او للطير الابابيل التي ترمي الناس بحجارة من سجيل ذلك اننا نرى المسلم كل يوم ضاربا بسيف الاعتداء في رقاب اخوانه المسلمين لا يألو جهدا في الاضرار بهم والنيل منهم ويزعم مع ذلك انه من المصلين وهو في الحقيقة من اكبر المنافقين بل ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين لان إبليس كان عاقلا وصادقا في قوله حين قال « رب بما

اغويتني لازينن لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » فقد صرح بانه يزين للعباد ويغويهم ولم ينافق ولم يخادع ولم يكذب واعلن انه يستثني منهم المخلصين . فالله الله عباد الله اتقوا الله وطهروا قلوبكم من جميع الاحقاد والاضغان وتذكروا هول الموقف وزفرات النيران واستعدوا ليوم تشيب فيه الولدان فالكيس الحكيم هو الذي يشمر عن ساعد الجد ويعد العدة لمواصلة السير والعدة هي الزاد في السفر . فالمسافر بالزاد يبلغ مراده ويحصل ما أمله من وطر

واليكم عباد الله عدة السفر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر

اولا – الاحسان في جميع الاعمال ومعنى الاحسان ان تراقب الله في جميع شؤونك كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن راقب الله استحيا ان يراه حيث نهاه او يفقده حيث امره ودعاه فان زلت قدمه استغفر لذنبه ومن يغفر الذنوب الا الله ثم عاد الى المراقبة فلا ياتيه الموت الا وقد اعد نفسه للرحيل زاده التقوى في هذه الدار فاذا مات دخل الجنة مع الابرار – ثانيا – الاخذ بالحلال وترك الحرام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى (يا ايها الرُّسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب له – فمن اكبر الدواعي الى تزكية النفس الاخذ بالحلال في جميع الاحوال – ثالثا – ذكر الله (قال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) ولا تكن من الغافلين ففي الذكر حياة للقلوب وتزكية للنفوس وهو نعم الرفيق في وقت الضيق ،وفي القبر عند فقد الاهل والصديق ، فمن ذكر الله ذكر ومن هجره هجر

اسأل الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ان يعيننا على طاعته ويغسل قلوبنا من جميع الاوساخ والادران ويحفظنا من معصيته وكيد الشيطان حتى نكون من الصالحين انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير الا ان احسن ما تتشنف به اذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها

عمر ابن الخطاب

كما يصفه صعصعة بن صوحان رضي الله عنهما .

قال معاوية بن ابي سفيان لصعصعة : صف لي عمر بن الخطاب ؟ فقال : كان عالما برعيته . عادلا في قضيته عاريا من الكبر . قبولا للعذر . سهل الحجاب . مصون الباب . متحريا للصواب . رفيقًا بالضعيف غير محارب للقريب . ولا خاف للغريب

كلمة حول

ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود

مفتيا حنفيا بالديار التونسية

بعد ظهر يوم الخميس السابع عشر من شهر رمضان الماضي شرف الجناب العالي صاحب المملكة التونسية الحاضرة في موكبه الفخيم وبعد جلوسه على عرش الامارة بسراية المملكة مثل بين يديه العالم الجليل المدرس الشيخ محمد المختار بن محمود الذي ابلغه شيخ المدينة امير الامراء سيدي مصطفى صفر في اليوم قبله استدعاء الملك الجليل بالحضور على الساعة الثانية بعد الزوال (كما هي السنة الجارية عند ارادة اسناد ولاية شرعية) وبعد ان قدم الشيخ فروض التحية والاجلال للحضرة الشامخة العلية دام لها العز والتاييد . تقدم صاحب المعالي امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية نحو الشيخ وسار به الى غرفة خاصة حيث خلع عليه شعار الخطة

وتقدم بالشيخ امام الأمير فاستوى الامير الجليل قائما مستقبلا فضيلة الشيخ وبعد تقديم فروض الطاعة واستواء الامير على كرسي المملكة اعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوة ان سيدنا ومولانا قلد الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الفتيا على المذهب الحنفي يتولاها على بركة الله وتوفيقه متحليا بفضائلها ناهجا فيها منهج العلماء الاتقياء الازكياء امثاله

فتقدم فضيلة الشيخ والقى بين يدي الملك خطابا بليغا مؤثرا (١) :

وعلى اثر الولاية وقع تنصيب فضيلة الشيخ بالمحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة فتلقاه اصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي بقاعة المجلس فابلغ جناب شيخ المدينة الى فضيلة مولانا شيخ الاسلام سيدي محمد بن يوسف الولاية الصادرة من الملك فتلقاها فضيلته بكل حبور واجلس الشيخ في منصبه الشريف كمفتي خامس في الدائرة الحنفية . وقدم لفضيلته شيوخ المجلس اجمل تهانيهم وتمنياتهم مبتهجين بهذه الولاية المباركة التي اسندت لمن هو جدير بها

والشيخ بن محمود عرفه قراء المجلة من يوم تأسيسها رئيسا لتحريرها وعرفوه بابحاثه القيمة ومقالاته التي دبجتها يراعه السيالة . فلاقت من نفوسهم كل اكبار وتقدير ، الامر الذي ترك القراء يقدمون الى الادارة كل ثناء وتشجيع .

ولا غرو فان نفسا مثل نفس فضيلته انطبع فيها حب الخير العام الى اقصى حد . وهو لا يألو جهدا في الاصلاح كلما وجد اليه سبيلا ، فهو حفظه الله منذ نعومة اظفاره اشرأبت نفسه الى الاصلاح

(١) انظر خطاب فضيلة الشيخ المفتي بصفحة ٤٢

تجده باحثا ومجدا في سيرة عظماء الاسلام المصلحين حتى يسير على خطاهم ويقتدي بسيرتهم المثلى في الارتقاء بالمجتمع العلمي الخاص وبالمجتمع العام حسب المستطاع وكلما تهيأت الاسباب وساعدت الظروف فشارك في المؤسسات العامة والخاصة والجمعيات على اختلاف مشاربها . وتحاريره القيمة في المجلات والصحف السيارة ذات صبغة خاصة بما تفيض عليها نفسه الطاهرة الطموحة فهي المنهل العذب الذي يستقي منه الضمآن

ولقد عرف الناس الشيخ ابن محمود خطيبا ومحاضرا كما عرفوه محررا ومدرسا وحاكما في المجلس المختلط . فما من جمعية علمية او ادبية الا ورغبت منه ان يساهم في انتاجها العلمي والادبي فاعتلى منابرها وحاضر الجمهور في اغراض هامة.وما صدى محاضرته التي القاها على منبر جمعية قدماء الصادقية عن (المرأة المسلمة) التي لاقت كل اعجاب من الحاضرين وقدرها الخاصة ايما تقدير عنا ببعيد فالشيخ مشهود له من الكافة بالباع الطويل والعبقرية النادرة وحسن التوفيق والايمان الكامل لا تاخذه في الحق لومة لائم يجاهر بآرائه وينصاع للحق . يخاف الله ويخشاه . تقي نقي ذو مجد اثيل وعلو همة لا يعبأ بسفاسف الامور طموح الى المعالي ، منقطع للادب والعلم يدافع عن كرامة العلم والعلماء ، بلغ به اخلاصه لجامع الزيتونة والزيتونيين الى ابلغ مدى ولا جرم فان الشيخ ولد في مهد زيتوني علمي ونشأ تحتضنه الفضيلة ، وترعاه المروءة ولما شب وانار صدره القرءان الذي حفظه عن ظهر قلب انخرط في سلك تلامذة المعهد الزيتوني سنة ١٣٣٤

وتدرج في سلم مراتبه الى ان نال اعجاب شيوخه الجلة قبل ان ينال شهادة المعهد الثانوية سنة ١٣٤١ ولما ارتقى الى مزاولة علوم التعليم العالي اقبل عليها بنفس النشاط الذي كان عليه قبل بل ابلغ فاخذ التفسير عن شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف وشيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر بن عاشور ادام الله النفع بهما . وحضر دروس المحلي على فضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط والمنعم الشيخ محمد بن القاضي ودلائل الاعجاز والمطول على فضيلة شيخ الاسلام المالكي وفضيلة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي . والدرر على الامام الشيخ محمد بيرم المفتي الحنفي والعلامة المنعم الشيخ عثمان بن الخوجه والحديث على الشيخ محمد العزيز جعيط والشيخ بلحسن النجار .

وفي سنة ١٣٤٤ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الثانية وفي سنة ١٣٥١ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الاولى وفي سنة ١٣٤٥ اسندت اليه خطة حاكم نائب بالمجلس المختلط العقاري وفي سنة ١٣٤٩ عين حاكما رسميا به ثم عين مدرسا بالمدرسة الصادقية .

ولقد زان كل المناصب التي تولاها بجدارة واخلاص الامر الذي دعى الملك الجليل لانتخابه لخطة الافتاء ذات المقام الاسمى لما يتوسم في حضرته من عظيم الجدارة ليقوم باعبائها احسن قيام ويشد عضد رجال المجلس الشرعي العلي انار الله بهم الحق ، واعز بهم الدين . وحمى شريعة رسوله على ممر الدهور والسنين .وقد توارد على الشيخ قصائد التهاني من امهر الادباء نثبت منها القصيدة العصماء التي هنأه بها العالم الفاضل الشيخ الطاهر القصار

هذا وان هيئة المجلة تتقدم الى رئيس تحريرها مجددة له التهاني مغتبطة بهذه الولاية المباركة التي ستهيء للشيخ اسبابا عديدة للاصلاح الذي وطد نفسه عليه . وستزيده نشاطا ايضا على القيام بالمهمة العظيمة في رئاسة تحرير المجلة ادام الله النفع به .

خطبة فضيلة الشيخ المفتي

حمدا لمن أيد الشريعة المحمدية بالاتقياء من العلماء الاعلام . وابد الملة الحنيفية فلا يتطرقها خلل مدى الليالي والايام . فلم تزل بحفظ الله يستضاء بانوارها الساطعة . ويهتدى بنجومها اللامعة . ويستقى بغيوثها الهامعة . وهي لخيري الدنيا والآخرة جامعة .

ويزيدها مر الليالي جدة وتقادم الايام حسن شباب . والصلاة والسلام الاتمان على سيدنا محمد نخبة ولد عدنان . افصح من نطق بالضاد . وافضل من هدى الى طريق الحق والرشاد . الحاث على تبليغ شريعته حث الواجب . حيث قال ليبلغ الشاهد منكم الغائب . وعلى الآل والصحابة الاكرمين الذين شادوا الدين . واظهروا الحق اليقين . والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين)

اما بعد فان العدل اساس العمران . وبه تنتظم حياة البشر ويقضى على الظلم والعدوان . ولئلا ينزع الى الغداية نازع . جعل الله شريعة الاسلام خاتمة الشرائع . فكانت كفيلة بحفظ الحقوق البشرية وموضحة لوظيفة كل احد من الراعي والرعية .

وان اول شيء يشترط لتحقيق هاته المزية . وحفظ الحقوق المرعية . ان يمن الله تعالى على المملكة بان يكون اميرها جامعا بين التدين والاستقامة . وخوف الله وصون الكرامة . وهذا ما تحقق في هذا العصر السعيد على يدي جلالة ملكنا المؤيد بالنصر والتاييد . فقد كان هذا الملك الهمام . معجزة في سلسلة الملوك العظام . جمع الله له خصالا يندر اجتماعها في سواه . واحي على يديه من المكارم ما يكاد يندثر لولاه . ولو لم يكن له الا مزية الاهتمام بالجانب العلمي حتى اينعت ثماره . وتفيأت قطوفه وتفتحت ازهاره . لكفاه شرفا وفخرا . ومثوبة عند الله وذخرا . هذا واني ليعجز لساني في هذا الموقف الرهيب . عن توفية حق الشكر لهذا الملك المعظم الذي لم يات له الزمان بظريب . على ما حفني به من عناية . واولاني من رعاية . باسناده الي خطة لها من بين المناصب العلمية شان واي شان وهي الافتاء على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه . ولعمري انها لخطة شريفة وحلية منيفه . تولاها من قبلي علماء اعلام وايمة بررة كرام . فزانوها بالعلم الغزير . والتوفيق الذي يسهل معه كل امر عسير . وارجو من الله تعالى ان يوفقني للسير على سننهم القديم . والاهتداء الى صراطهم المستقيم . حتى اكون محققا لما يعلق علي من امل . وجامعا في التوفيق بين القول والعمل . ومن المصادفات التي اراها من بشائر الخير وهي جديرة بالذكر ان وافقت ولايتي يوم غزوة بدر التي هي اول غزوة وقعت في الاسلام . ومن بعدها توالت الغزوات واستمرت الفتوحات لنبينا عليه الصلاة والسلام . فزحزح الشرك حتى رد خاسئا محسورا . واستمر لواء الاسلام ظافرا منصورا . والشيء قد يكتسب الشرف بالجوار . والله يفعل ما يشاء ويختار .

تهنئة

بخطة الافتاء

للعالم المدرس الشيخ الطاهر
القصار المدير السابق للمجلة

لكم بوظيفة الفتيا الهناء ... تشيد به الصداقة والاخاء
وتنظمه يد الاشعار عقدا ... فرائده المودة والوفاء
وينشره فم الاخلاص مسكا ... يؤرج من نواسمه الفضاء
ويبلغه لسان الود عهدا ... ونعم العهد يكنفه الصفاء
وداد شيد الاباء منه ... بناء لا يطاوله بناء
مصانعه بها الاخلاص افق ... وظاهرة الوفاء به ذكاء
تظل قبابه الشماء حبا ... له في كل صالحة سناء
كذاك الود ان ما فاب اصل ... الم به من الفرع الرعاء
اخي يا حافظا عهدي وودي ... بعصر عز فيه الاوفياء
تقبل خطة الفتيا عروسا ... ترنحها الملاحة والبهاء
تهادى في الرياش قطاة واد ... زهاها حوله حب وماء
ولاقت فوق ضفته اليفا ... فجللها لبهجته الحياء
اليف قد زكا خلقا ونفسا ... سجيته الحصافة والذكاء

اللهم يا من امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة وامرتنا بالاخلاص في العمل وان تكون اليك الانابة امنن علينا ببقاء ملكنا الهمام وبهجة الليالي وزينة الايام . وأجر الخير على يديه . واجعل السداد والصلاح في كل ما يقرره ويرتئيه . حتى تكون بلادنا التونسية مضرب الامثال في التقدم والازهار ما بين الممالك الاسلامية . وايده اللهم بآل بيته الكرام . الغطارفة الصناديد من نسل حسين المقدام حتى يكون شمسا وهم من حواليه بدور . يرثون المجد كابرا عن كابر ما تعاقبت الدهور . واجعل له من وزرائه الجلة الكرام . سواعد متينة لتسيير الامور على غاية ما يرام . لا سيما وزيره الاكبر الصادق قولا وفعلا . والكريم حسبا ونبلا . الذي له في تحقيق اغراض ملكنا المؤيد بالله انواع من الاخلاص قلما حفظها الزمان لسواه . واختم بالصالحات اعمالنا وحقق بفضلك امالنا . حتى تتحقق الاغراض وتنجز الاماني . بحرمة القرءان العظيم والسبع المثاني .

محمد المختار بن محمود

اذا مسك اليراعة ضاق ذرعا / كمي الحرب والبيض اللوء
وان خطب الجموع سمعت حقا / له في كل مشكلة مضاء
اديب بارع الآداب تعنو / لموردة المراشف والدلاء
بديع اللفظ خلاب المعاني / ولكن كلها دال وراء
انيس لايمل له حديث / جليس لا يمل له ثواء
اصيل الراي ثبت ليس يلفى / له في ساحة الحق التواء
ولوع بالمفاخر والمعالي / عدواه الحماقة والرياء
مليء بالمعارف ليس ينبو / له سهم ولا يخبو ضياء
تازر بالتقى طفلا وكهلا / وهل يلد العصاة الاتقياء
ومن ورث المفاخر عن اصول / بذكر خلالهم يسمو الثناء
سما بيت ابن محمود بقطر / تعطر ماءه وصفا الهواء
هو الخضرا معالمها رياض / واهلوها كرام ازكياء
مباركة منازلها نوام / نتائجها واسحبها سخاء
وراعيها ابو العباس ملك / لرفعة شانه ينمى العلاء
فطب يا ايها المختار نفسا / بعيش لاعداك به الهناء
وطل في مذهب النعمان صرحا / فيغشى امة الحق السناء
وخذها درة عصماء عزب / عن الشعرا وصين لها البهاء
ولم تكشف محاسنها لغيري / ومثلي من يزاح له الغطاء
وان كان الهنا في الختم حسنا / فلي من ذلك الغرض ابتداء

وصايا ثمينة

اربع لا يزول معها ملك : حفظ الدين واستكفاء الامين . وتقديم الحزم . وامضاء العزم

واربعة تدل على صحة الرأي : طول الفكر . وحفظ السر . وفرط الاجتهاد . وترك الاستبداد

واربعة تولد المحبة : حسن البشر وبذل البر . وقصد الوفاق . وترك النفاق

واربعة من علامات الكرم : بذل الندى . وكف الاذى . وتعجيل المثوبة . وتاخير العقوبة

واربعة توصل الى اربعة : الصبر الى المحبوب . والجد الى المطلوب . والزهد الى التقى . والقناعة الى الغنى

النهضـة العربيـة
في العصر الحاضر (*)

بقلم امير البيان شكيب ارسلان

تمهيـد

لقد تكلمنا منذ ايام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الاتحاد فيما بينهم اقتداء بغيرهم من الامم اللائي كن مفككات مبعثرات فما زلن يسعين في الانضمام الى ان اصبحن كتلة واحدة : ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية . كما اخترنا النادي العربي منبرا للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه . وانما كان الفرق بين البحثين ان الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه الا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة وان الآخر علمي بحت يقدر ان يستقصي فيه الباحث ما شاء دون ان يتعرض لمحذور او يعرض امته لضرر وبهذه المناسبة اعلن اني آسف بل جد آسف من ان ارى بعض اخواننا معتقدين ان الانسان اذا حاضر في باب السياسة وجب عليه ان يفرغ جعبته من اولها الى آخرها وان يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضر في باب العلم فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديرا بأن يطرق باب السياسة اصلا بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب فنحن لا نرضى ان نكون من الاطفال الهائلين ولا من الذين لا يعرفون الى اين يذهب الكلام بل نحن ولله الحمد من امة اشتهرت بالمرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في امثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ولقد كان هادينا الاعظم صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها . ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في امـور كثيرة يضرس بانياب ويوطـأ بمنسم

وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه انه اشعر العرب لقوله ومن ومن . ثم ابدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فاقول : منذ عشر سنوات (اي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف التي انتهت اليها رئاسة المجلات العلمية ان اكتب الى المقتطف شيئا في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الاخيرة فكتبت يومئذ فصلا ظهر في اجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيرا وقد بدأته بما يلي :

لا حاجة بنا الى القول بأن اجلي مجاري هذه النهضة كان في العلم والتعليم . وعندي انه لا نهضة

(*) هذه المحاضرة التي القاها عطوفة امير البيان شكيب ارسلان في شهر اكتوبر سنة ١٩٣٧ بدار المجمع العلمي العربي بدمشق اهداها برسم المجلة الزيتونية صديقنا الاستاذ محمد تيسير ضبيان الكيلاني صاحب جريدة الجزيرة الفيحاء فبادرنا بنشرها افادة لقرائنا الكرام

للامم سوى النهضة العلمية فاذا وجدت هذه جاءت سائر النهضات من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ آخذا بعضها برقاب بعض فاذا قلنا ان الشرق الادنى نهض نهضة علمية كفينا تعداد سائر مظاهر نهوضه ومعارج رقيه لان العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول الى داخل البناء وكل نهضة لا يكون ظهرها العلم فما هي الا ساعة وتضمحل وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق ان تذكر بالقياس الى معالي الامم الراقية واننا لا نبرح متخلفين بمسافة شاسعة عن امم اوروبا واميركا واليبان فلماذا نشغل انفسنا بما لا يشغل حيزا في التاريخ العام وعلى هذا نجاوب انه ليس العلم متعلقا بالكمال وحده ولا البحث موقوفا دائما على ما بهر النهى وبلغ سدرة المنتهى وانما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها الى بعض ونسبها الى الوقت . ثم اننا اذا تحرينا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتهيأ لاوروبا ان تجتازه قبلا في اطول جدا من هذا الردح من الدهر . وذلك انه من الطبيعي ان يسهل على المتاخر ما لا يسهل على المتقدم لان المتقدم قد يضطر ان يمهد الطريق ويسير واما المتاخر فما عليه الا ان يلحقه ويسير على طريق مذلل امامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية – نسميها بالعربية اخراجا لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الاقصى ونهضة فارس والافغان والهند في الشرق الاوسط ونهضة الترك في الشرق الادنى بحذائنا – قد بدأت في الواقع منذ اكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزيز مصر فهو اول من لحظ الخطر الحائق بالشرق من جراء جموده على اساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه مجارات الغرب في اساليبه الجديدة

محمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية واول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة انما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ثم انكفأ ابراهيم باشا الى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الانتباه ونزعة التجدد وجد السوريون لا سيما اهل الساحل منهم ينشدون اسباب المدنية الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية . وانس المرسلون والاميركيون هذا الاستعداد في اهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم الشهيرة التي كانت النبراس الاول التي استضاءت به سورية ولا يزال هذا النبراس يزهر في افاق الشرق الى يومنا هذا . ورأت امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جدا لبذور المعارف فبثوا فيها المدارس والكتاتيب

وكل ذلك كان يبدأ في بيروت ثغر الشام البسام . ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم العصري واخرج شطاه ثم انبث في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلظ واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوروبيين انفسهم واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية وان تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها الوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية او عدلية ومنهم من تعاطوا مهنة المحاماة ومنهم اطباء وصيادلة ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الاقران من ضباط العرب في العراق والسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب باغالدي في الاستانة وقد يزيدون على ثلاثة آلاف فيما يقال مع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الكلية الاميركية ولا الكلية اليسوعية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة لا ينكر ان مصر كانت ميدانا لجياد القرائح السورية وان انبغ الذين تخرجوا في بيروت انما ظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخريج عدد لا يحصى من ابناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخريج عدد كبير من اطباء سورية بالقصر العيني فما زال كل من القطرين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي وقلما جد في احدهما شيء الا سمعت رجع صداه في الآخر على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذر قرنها منذ قرن فاكثر لم تسر هذا السير الحثيث الا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها . وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سيرها منذ ٥٢ سنة متوالية فلي الحق اذا بان ادعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخلت فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون ان يتخلف يوما واحدا

الصحافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من اقوى عوامل هذه النهضة بما اثارته من الحركة الفكرية ونقلت من اخبار الغرب الناهض الى اهل الشرق النائم وقد كان بحسب معلوماتي وربما اكون مخطئا في بعضها - اول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بعهد محمد علي ولكن بقيت صورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة (حديقة الاخبار) انشأها خليل افندي الخوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠ ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد . ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم الجنة ثم جريدة يومية باسم الجنينة ثم مجلة شهرية باسم البستان وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » وكذا اليسوعيون قد أصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاثوليكية ثم اصدر القس لويس الصابونجي جريدة النحلة . واصدر

غيرة جريدة اسمها النجاح . واصدر الاميركيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية ، ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون وكانت تصدر بادارة الشيخ عبد القادر القباني وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصرا في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير وقد وقعت الي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حرب القريم وغيرها من الاخبار ومما اتذكره انه كان عند ذكر خديوي مصر يلقبه سعادة عزيز مصر واظن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوروبا على اثر حادثة جرت معه وقيل فيها انه اختلس مالا للدولة فلاذ بالفرار وكان احمد فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة (الجوائب) المشهورة فكانت في وقتها اشهر جريدة عربية في العالم وكان لها مشتركون في جميع الاقطار الاسلامية ، نظرا لبراعة كاتبها احمد فارس المعدود من اكبر كتاب القرون الاخيرة واما رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوروبا نشر كتابا تحت عنوان « النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ومن صاحب الجوائب فاشار هذا الى كتاب النفثات بقوله : « كان حسون لصا وله سرقات انقلب لصا وله نفثات » واظنني غير مخطىء اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة اخرى في مصر باسم وادي النيل ، وربما يكون قد صدر في مصر جرائد اخرى لم اسمع بها ولست محاولا في هاته العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتواريخ صدورها وانما اذكر اليوم اشهرها على سبيل التمثيل واقول انه لما انتشرت جريدة الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت عاملا قويا من عوامل النهضة العربية الادبية وصار صاحبها يطبع في الاستانة من نفائس الكتب العربية التي كانت مجهولة والتي اطلع عليها في خزائن الكتب القسطنطنية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع الجميل وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية من خدمة مطبعة بولاق واني قد ادركت وانا ابن ثلاث عشرة سنة او اربع عشرة سنة عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال وقد بلغ من الكبر عتيا يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ومن شاء ان يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن العربي فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فهي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن ان يستغني عنه من اراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ و ١٨٨٠ (يتبع)

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ — تونس

ثمن الجزء فرنكات ٣